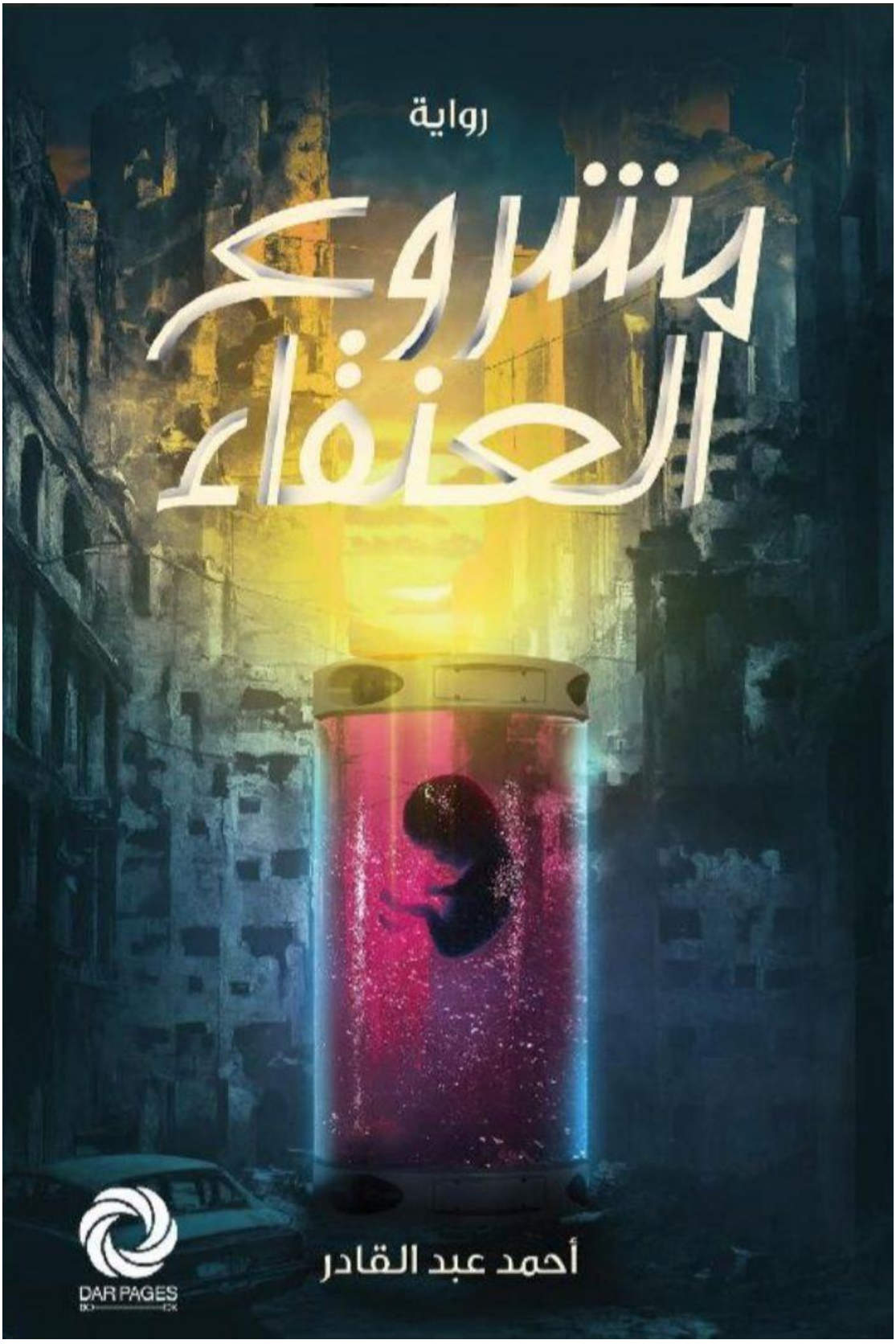
رواية
مشروع الصفاء
أحمد عبد القادر
DAR PAGES

رواية مَشروعُ العنْقاء

أحمد عبد القادر

تَنوِيه

الشّخصيّات في هذه الرواية خيالية غير حقيقيّة، وأي تَشابه بينها وبين الحقيقة فهو من قبيل الصدفة المقصورة...

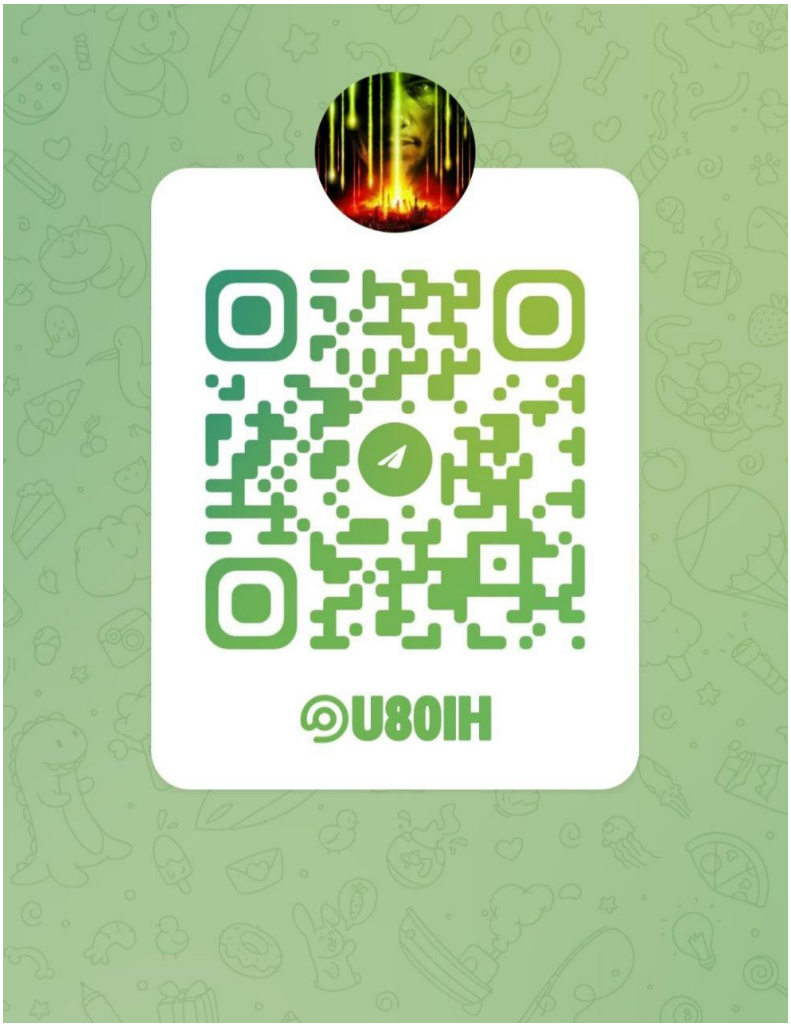

سأحكي قصةً الكثيرون غير قادرين على استيعابها.

لذا؛

لو لم تصدّقني..

لن ألومَك..

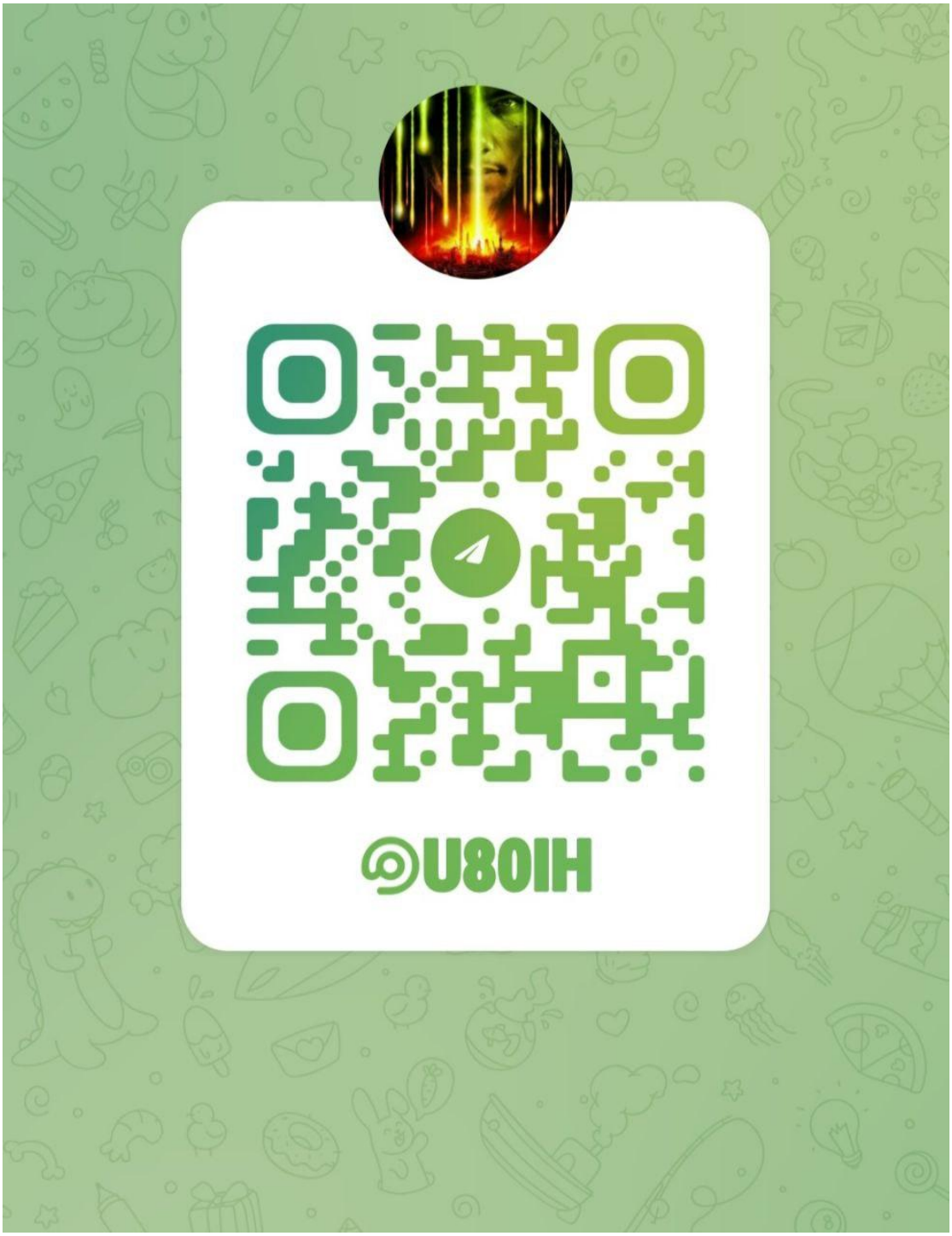

تَوطِئَة

بعد أن تجاهل العالم تحذيرات علماء البيئة لسنوات، أخيرًا استسلمت الأرض لعناد البشر وكفّت عن محاولة التّعافي، فارتفعت درجات حرارة الأرض لمستويات غير مسبوقة أذابت جليد قُطبي الكوكب البائس فتَحرّرت فيروسات مَكثَت حبيسة الطبقات السحيقة في الجليد لملايين السنين وكان أخطرها وأشدها تأثيرًا فيروس TYSA 56 الذي كان ينتقل خلال الهواء والمياه، كان يتخصص في التلاعب بشريط الجينوم البشرى فيضيف بعض المعلومات الوراثية ويلغى بعضها مما أصبح من الشائع ولادة ملايين البشر ناقصي أو مَضموري الأعضاء، صعوبة تحديد المصابين بالفيروس كانت تمثل تحديًّا للعالم، فهذا الفيروس يظهر تأثيره على الأجيال اللاحقة للمرضى.

تهتّك الشريط الوراثي لجميع الكائنات الحية بشدة لمدة تزيد عن عشرين عامًا، تسارع التّدهور جراء تناول النباتات الخضروات والفواكه المعدلة وراثيًا بطريقة بشِعة لَجؤوا إليها لتَكفيَة احتياجات الأعداد الهائلة للبشر التي تتسارع بمعدل مخيف حتى وصل عددهم لما يزيد عن العشرين مليارًا.

كانت أعداد المواليد المَضمورَة أطرافهم وينقصهم يد أو قدم أو أذن أو عين في ازدياد مع مرور الايام حتى أصبحَ كل المواليد ناقِصي أعضاء، نمَت شركات زراعة الأعضاء الحية وتصنيع الأعضاء البلاستيكية البديلة -وإن كانت أقل بكثير من فعالية الأعضاء الحية ويصعب اختراقها إلكترونيًّا- وتنوعت جودتها

على حسب عملائها فكلما زادت الأموال التي يدفعونها زادت كفاءة العضو وزاد سعره.

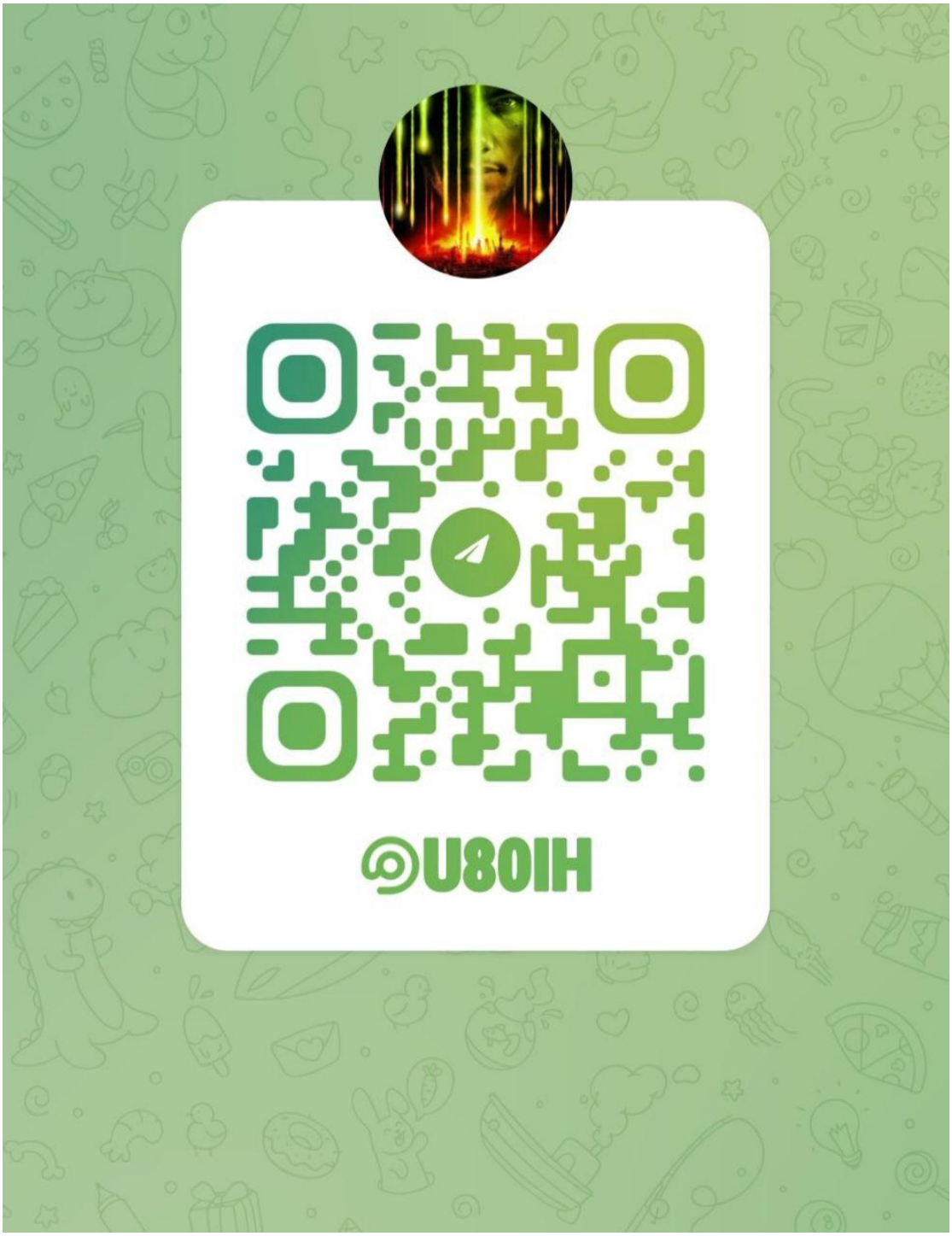

«الذّئب»

21 يونيو 2137..

توقفت شاحنة أمام مبنى كبير في مكان ناءٍ وسط الصحراء يبعد مسافة كبيرة عن أقرب مدينة، ترجّل منها بعض الرجال يحملون رشاشات آلية، توجّهوا لمؤخّرة الشاحنة ثم فتحوها، نزل منها عشرات الأطفال والشباب والفتيات مُكبّلين بالأغلال يبكون بقوة حتى كادت أعينهم تجفّ من دموعها، ساقوهم لداخل المبنى حيث كان بانتظارهم الكثير من الأطباء يرتدون ملابس الجراحة الخضراء والكِمامات، أوقفهم الرجال المُدجّجين بالأسلحة أمام رجل يرتدي سترةً جلدية سوداء تعلو وجهه نظّارة شمس قاتمة، قاسي الملامح، جامد الوجه، يدعونه «الذئب»، لا أحد يعلم اسمه الحقيقي.

لم يتوقف نحيبُهم، عدا فتى قاوم الرجال وهرب من بين أيديهم، وقف أمام «الذئب» وحدّق فيه «الذئب» لهُنيهَة، بحركة خاطفة أخرج من بين طيّات ملابسه مشرطًا طبيًّا وحاول ذبحَه ولكن «الذئب» أوقف يدَه الحاملة للمشرط بدون عناء، شمّر ساعده عن يد روبوتية متطورة مصنوعة من معدن في غاية القوة، أحدث ما أنتجت الشركة، وجّه المشرطَ الرقبة الفتى الذي تصبّب عرقًا، تساقطت دموعه يائسة بينما ينحر عنقه ويقطع شرايينه وسط صراخ يائس توقف فجأة عندما انطلقت الدماء غزيرة، ثم تركه يفترش الأرض تتدفق الدماء من رقبته تسيل لتصنع بركة حمراء بجواره.

التقط «الذئب» منديلًا ثم مسح الدم الذي نُثر على سُترته وأمر أحد رجاله بسحب الجثة ورميها خارجًا ثم التفت لأحد الأطباء

يقول: "اليوم أنا بحاجة لكلية وقلب". ثم أعطاه بعض الأوراق تحتوي على بيانات تحاليل المتبرِّع بغير إرادته والمستقبل الذي هو بالتأكيد أحد الأثرياء الذين يملكون من المال للدفع لـ «الذئب» مقابل خدماته النادرة.

أمسك الطبيب الملف ثم قال: "لقد قتلتَ المُتبرّع."

«الذئب»: "يجب أن تُسرع إذًا."

انطلق رنين هاتفه، أجاب بعدما صمت ثوان: "حسنًا، سيدتي."

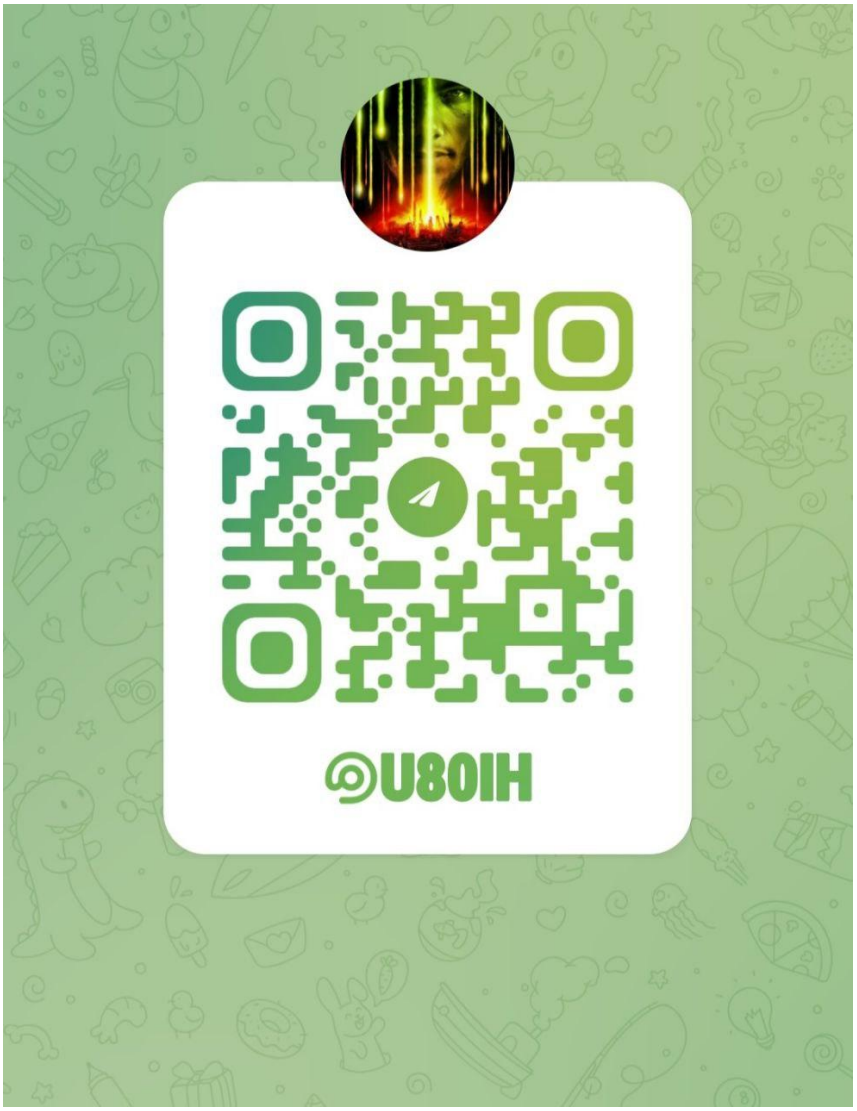

«قاسم»

15 أغسطس 2137..

في منتصف أحد أيام الشتاء ترجّلت امرأة ثريّة من الكرسي الخلفي السيارة فارهة بعدما فتح لها سائقها الخاص الباب، نظرت باشمئزاز لحذائها الثمين الذي يحمل علامة إحدى أجود الماركات العالمية بينما يَناله بعض الطين فيتّسخَ قليلًا، لم تُبالي كثيرًا بينما تعبر الشارع وتتقدم ببُطء إلى إحدى الحارات الشعبيّة القَذِرة تلاحقها أعين المارّين حولها في ذلك الوقت يرتدون ملابسهم المُهلهلَة الرخيصة.

بلغت أخيرًا، مقصدها محلًا صغيرًا بابه أصفر اللون تعلوه لافتة اهترأت بعد سنين من وجودها، لم يتبقّ من اسمه القديم عدا ثلاث حروف ا، ل، وبعدها بمسافة صغيرة حرف ك، توقفت أمام المحل قليلًا تستجمع شجاعتها قبل أن تدخل.

بداخل المحل وجدت شابًا في منتصف عقده الرابع جالسًا على كرسي خشبي قديم، يرتدي ملابس أرقى قليلًا من ملابس أهل ذلك الحي، نحيف الجسم، يمتاز بشعر أسود قائم والحية خفيفة قصيرة تتخلّلها بعض الشعيرات البيضاء، قد أصابه الملل فجعل ينظر إلى تلفازِه القديم الذي يعرض أفلامًا ومسلسلات مات صانعوها منذ زمن، ينظر إليه كل فترة بينهما يحمل في يساره أذنًا سليكونية متصلة بأسلاك كثيرة متداخلة متعددة الألوان يحاول إصلاحها بأحد المعدات الدقيقة التي يحملها بيمناه، ينظر بتركيز شديد عبر نظارة أمامها عدسات مُكبرة غير مُكترث للسيدة التي دلفَت المحل.

قالت المرأة: "لقد أخبروني أنّك الأفضل."

كررت المرأة جملتها بعد أن توغّلت قليلًا داخل المحل ليلاحظها الشاب.

انتبه الشاب لقدوم السيدة، نظرة واحدة لها أخبرته أنها ليست كزبائنه المُعتادين، لن تطلب منه إصلاحًا أو تعديلًا على برمجة لأحد الأعضاء وتحاول تَرجئةَ موعد الدفع لحين نزول الراتب أول الشهر، كانت ترتدي ملابس باهظة، يبدو وجهها كأنه لا يوجد جزء صغير منه لم يخضع لعملية أو أكثر من عمليات التجميل التي تُحيل القبيحة ملكةً للجمال، تبدو في أواخر عقدها الرابع أو بداية الخامس، لم يتبيّن بالتحديد، ولم يهمّه أن يعلم، ربما عمرها قد تجاوز السبعين، لا أحد يمكنه التحديد بدقة.

وقف بجوارها رجلٌ طويل تكاد تتمزّق حلّته السوداء التي يرتديها من فرط ضخامة عضلات يديه وصدره.

نهض الشاب بهمّة بعد أن أوصل آخر الأسلاك التي بيده بسلك يخرج من فتحة أذنه ثم قال بابتسامة مصطنعة: "بِمَ أستطيع خدمتك؟."

قالت المرأة بضَجَر: "لقد أخبروني أنّك الأفضل."

أجابها الشاب محاولًا إخفاء ملامح الفخر على وجهه أن سيدة عالية المقام من أثرياء القوم قد سمعت عنه أنه الأفضل فيما يفعل، أحيانًا التقدير يكون مضاعفًا من أولئك الذين لا تربطك بهم علاقة شخصية، تساءل بفضول: "نعم سيدتي، ما أخبروكِ به صحيح، بِمَ أستطيع خدمتك؟."

أجابته السيدة: "لدي هذا الصّداع اللعين الذي لا يهدأ، لم يستطع أحد معرفة سببه."

أكمل الشاب تركيب الأذن في تجويف رأسهِ ثم اقترب من السيدة وتفحّصها قليلًا قائلًا: "أنا لست طبيبًا، أنا فقط أُصلح ما أستطيع من الأعضاء الاصطناعية البديلة."

بخيبة أمل قالت السيدة: "أنا لديّ الكثير من هؤلاء، لقد ولدت بدون عينين ويد وبعض الأعضاء الداخلية."

قال الشاب: "ربما تجِدين الشركات المُصنّعة لتلك الأعضاء أكثر مني فائدةً، لديهم معامل وأدوات أكثر تخصصًا أفضل لفحصها".

أجابته السيدة بيأس: "لقد أخبروني أن كل أعضائهم فعّالة وليس هناك أي خلَل، واستشرتُ أطباء آخرين أجروا فحوصاتهم على كل جسدي وأخبروني أني لا أشتكي من علة داخليًا أو خارجيًا."

اقترب الشاب من السيدة وأمعنَ النظر في عينيها بينما تتحدث وعندما انتهت قال: أرى رعشةً في عينكِ اليُسرى، هل أستطيع فحصها؟."

أجابت السيدة بعد أن عادت خطوة للخلف قائلة بامتِعاض: "لا، لا يمكنك، أتريدني أن أتخلّى عن عيني ذات العشرة ملايين دولار؟"

قال الشاب بتعجب: "لقد أتيتِ إليّ لأنني الأفضل، لماذا لا تدعيني أقوم بعملي؟."

على مَضضٍ رفعت السيدة حاجبها الأيسر وضغطت على زِرّ أخرجَ العين من مكانها وأعطتها للرجل الذي ظلّ يتفحّصها كثيرًا معجبًا بدقة تصميمها قبل أن يضعها في جهاز الفحص تعلو وجهه نظرة سعادة وحماس شديدين، بدأ جهاز الفحص في

الهَمهمَة وخرجت منه أشعّة ليزر خضراء على شكل مربعات متداخلة تحيط بالعين من كل الجوانب ثم ظهرت نتيجة على الشاشة بجوار الجهاز.

قال الشاب بعد أن نظر للشاشة لفترة وجيزة: "ما بالعين من علّة."

ارتسمَت على وجه السيدة خيبة أمل شديدة ثم قالت بلهفة وقلق "إذًا ضعها مكانها."

أمسك الشاب بالعين وعندما همّ بتوصيلها بالأسلاك داخل عين السيدة لاحظ شيئًا غريبًا، قال: "يبدو أنني كنت محقًا بالشك في هذه العين، إحدى الدوائر الداخلية المتّصلة بالمُخ مَعطوبة"، ثم أردف: "سأقوم بإصلاحها سريعًا".

أمسك أحد معداته الدقيقة واقترب من السيدة ولكن وقف حارسها الشخصي بينها وبينه قبل أن تأمره السيدة أن يتنحّى فوقف على مقربة منهما مُتأهبًا.

مكث الشاب يتلاعب بالأسلاك حتى وصل للدائرة المعطوبة، فور أن قام بإصلاحها ارتسمَت على وجه السيدة الراحة الفورية.

قالت تدمع عينها الأخرى بدموع السعادة: "نعم، أنت محق، لقد ذهب الصداع اللعين، عشرة سنوات معاناة وفي النهاية العطب في دائرة حقيرة، اللعنة على شركة «روبوبارت»، هؤلاء الحمقى مكثوا وقتًا طويلًا يحاولون اكتشاف المشكلة التي توصّلت إليها أنت في دقائق."

أكمل الشاب تركيب العين في تجويفها، ثمّ وضع شاشًا لاصقًا على عينها وأمرها ألا تتركها قبل مرور يوم كامل.

استدارت سريعًا ثم ذهبت، رمى الحارس الشخصي على المنضدة الخشبية البالية رُزمةً من المال ومضى خلف سيدته مسرعًا ليفتح لها باب السيارة.

همَّ الرجل بالصراخ عليهما أن هذا المبلغ قليل فقد ظنّ أنه من فئة الجنية ولكن عندما حملها وتفحّصها جيدًا وجدها جميعها من فئة المائة دولار، لمعت عيناه وأشرق وجهه بالسعادة البالغة فلم يكن قد رأى مثل ذلك المبلغ الضخم في حياته البائسة.

أنهى عمله بعد ذلك مبكرًا، أغلق المحل الذي كان مكتوبًا على بابه الخارجي بعد غلقه (مركز صيانة الأعضاء الاصطناعية لصاحبها/ «قاسم عبد السلام»)، ثم ركض مسرعًا نحو منزله ولكن ليس قبل أن يتناول أحد صناديق معداته الدقيقة معه.

ركب سيارته العتيقة، لم يتَبقى من لونها الأحمر الزاهي إلا ذكريات بالية، يعمل محرّكها بالبنزين عكس كل السيارات الكهربائية التي تسير بجواره على الطريق، كانت تشغل في نفسه مكانة خاصة كونها آخر ما تبقى له من ميراث والده بعد وفاته، أدار المحرك في حماس شديد وسمع هَديرَه في استمتاع، مرّ على الكثير من نقاط التفتيش في طريقه للمنزل التي كان تعوّد يوميًا ذهابًا وإيابًا لمحل عمله.

فتح باب شقته في الدور الخامس من إحدى العمارات القليلة الصامدة بشموخ من أزمنة سحيقة تشقّقت جدرانها الخارجية وبهتَت الألوان التي كانت زاهية في وقت من الأوقات، أنت زوجته مسرعة، لم تتعود أن يعود للمنزل في مثل ذلك الوقت، ظهر على وجهها الوهن الشديد الذي امتزج بالقلق لرؤيته فمنذ

أن علم أنهما ينتظران طفلًا زادت ساعات عمله حتى يتمكن من ادّخار ما يكفي لولادتها.

اقترب منها وقال مبتسمًا بينما يضع يده على بطنها الكبيرة الممتدة أمامها ويطبع قبلةً على وَجنتِها: "لقد اشتقت لك قبل رؤيتك."

لم تتبدّل نظرة «روان» زوجته، تساءلت بقلق: "هل أنت بخير؟."

لم يُجبها، توجّه نحو حجرة المعيشة وظلّ يخلع ملابسه قطعة تلو القطعة ورماها على الأرض فزاد من سخطها الذي يعلم أنه يعبث بملامح وجهها الرقيقة، ويغيّر عينيها البنيّتين لعينين حادتين تكادان تحرقانه في مكانه.

اقتربت منه وقد بلغ غضبها عنان السماء قائلةً: "أنا لا أعتقد أنّك ستتمكن من ادّخار المبلغ التي سيَطلُبه المستشفى عند ولادتي الباهظة التي تبقّت عليها بضعة أيام، يجب أن تتركني أطلب بعض المال من والدي، لديه الكثير منه، لن يفتقد البعض".

ظلّ صامتًا لبعض الوقت ينظر لعينيها الثائرتين ثم أخرج الدولارات التي تحصل عليها من المرأة الثرية وقال بثقة: "هذه الدولارات ستغطّي كل ما نحتاج."

تركها في ذهولها تطلق عليه سيل أسئلتها عن كيف تحصّل على مبلغ كهذا في وقت بسيط؟

دخل غرفته وأخرج من دولابه آلة كاتبة عتيقة، فهي كما يقول (off the grid)أو (خارج الشبكة)، فقد انتشر نظام النقاط على تطبيق تتحكم به الحكومة الذي كان مقتصرًا ذات يوم على

الصين فحسب ولكن انتشر في العالم بعد ذلك فقد وجدته الحكومات وسيلة قوية للتحكم في المواطنين وتصنيفهم.

شرع يكتب على ورقة بيضاء ما يَعصِف برأسه...

عزيزي القارئ/

أكتب لك من الماضي، نفس الماضي الذي يشكّل مستقبلك، اعذرني لو أنك قد ألفت القراءة على الشاشات الديجتال وانقرضَ الورق، فتلك الكلمات التي سأكتبها لن أأتمنَ أيّ جهاز لحفظها، فقط تحتويها تلك الصفحات، انشرها بعد وفاتي، فلو قرؤوها سيُرسلونني وراء الشمس، أنا أأتَمنك أنت فقط على حياتي وكلماتي وما خطّته يداي..

أكتب بقلم يقطر بالدم أفكارًا غير منتهية، تفاصيل غير ضرورية، حياة لا يأبه بها أحد، الحق غائب، الباطل يُتداوَل في كل الأرجاء، ماذا يريدون؟ هل لديهم هدف بالأساس؟ أم أن طاقة الشرّ قد انهالَت عليهم فأغرقتهم في زيفِها وإفكِها، العالم يَبنيه قادةٌ كاذبون تُحرّكهم شَهوة السيطرة والمصالح المتبادلة، حين تسمعهم ينادون باحترام الإنسانية والقانون والدساتير البالية، هم فقط يريدون احترام عروشهم والا يقترب منها الوغد الأعزل، متى تنتقى عنه صفة الوغد؟ حين يمتلك القوة، قوة سلاح رادع، قوة لسان سليط تفضحهم في الإعلام، قوة التأثير على خططهم البشعة، لا مجال للحقّ في ذلك العالم البغيض، فقط القوة، الخلاص في إيماننا أن تلك المعاناة لن تضيع هباءً، لن تَذروها الرياح، أن هناك إله مُطلّع لما يحدث من الظلم وسوف يقتصّ لنا من هؤلاء الملاعين.

أشعر أنني أدين لك بتَفسير، لم يكن الوضع على هذا الحال قبل ظهور الفيروس وما تبعه من شركات تجارة الأعضاء الصناعية،

تتحكم في الجميع منذ ولادتهم فتعطيهم العضو الناقص أو الضّامر، الجميع يولدون بأعضاء ناقصة أو ضامرة هذه الأيام، ثم تبدأ بدفع أقساطه عند بلوغك من العمر 25 سنة، هذا عمل جدّي وليس جمعية خيرية، هذه الأعضاء ليست رخيصة الثمن وإن كان بعضها رديء لا يستمر لوقت طويل.

هناك سؤال أراه يلمع في عينيك عزيزي القارئ، ماذا يحدث لهؤلاء الذين يتخلّفون عن مواعيد أقساطهم؟ لقد أخبرتك أن تلك الشركات الرأس مالية الجشِعة لا تعطي أهمية كبيرة لحياة الإنسان في مقابل الربح، لديهم فرقٌ مُدرّبة لتَعقّب المُتهرّب من الدفع أو المتخلّف عن الأقساط، يعطونه ثلاثة إنذارات، هم ليسوا وحوشًا أيضًا، ولكن لو تخطّى حدّ إنذاراتك، ليس هناك أعذار، يتعقبونه ويطلقون عليه إبَرًا مُخدّرة ثم يستخرجون الأعضاء بعد شقّ البطن، لو كان عضوًا داخليًا مثل الكبد أو البنكرياس أو الكلى، أما لو كان العضو خارجيًا فيقومون بفصله عن الجسم بسهولة ثم يودعونه السيارة إسعاف ترافقهم حتى يدخلونه أقرب مستشفى تابع لهم ويزيد دينه أكثر، تزيد معه فائدتهم حتى تصل أحيانًا لـ 30%، هناك من يُوصى الّا يُودَع في المستشفى وأن يتركوه في مكانه فيحترمون حريته ويحققون له ما أوصى به ويتركونه يموت بسلام.

أرى سؤالًا آخر في عينيك، أسئلتك كثيرة اليوم عزيزي القارئ، كيف يتمكنون من معرفة أماكنهم؟ تقوم تلك الشركات بوضع محدد للمواقع GPS في أعضائها لحماية استثمارها ولتتمكن من معرفة مكانه وتَعقُّبه طوال الوقت، لديها قوات خاصة بها لتقوم بمثل تلك الاسترجاعات الحقيرة، أيضًا الشرطة تساندهم بكل قواتها ومواردها، قد تتخيل أن كل قوات الشرطة المنتشرة

في كل المدن هدفها حفظ الأمن والأمان للناس، ولكنها حقًا أذرع تطبيق قانون الحكومة، التي تتحكم بها شركات الأعضاء التي تعطيهم رواتبهم السّخيّة، لن يستطيع أحد التّخلّف عن موعد السداد ويتحرك بسهولة على الطرق، قد تظن أنه نجا عندما يتجنّب نقاط التفتيش تلك وهؤلاء الصيادين ولكن هذا وهم، لا يهم ما يفعلون، لا يهم أين يختبئون، دائمًا ما يجدونهم.

نسيت أن أخبرك أمرًا آخر عزيزي القارئ، أُدعى «قاسم عبد السلام»، أقطنُ في شقّة في إحدى المقاطعات كما يحبون أن يطلقون عليها، في الماضي القريب انتشرت تلك المقاطعات لتُؤوي الفقراء خارج أسوار المدن العظيمة التي تفصل هؤلاء الذين لم يُسعِفهم حظُّهم ويولدون داخل الأسوار، كثرت تلك المناطق خارج مجتمعاتهم الراقية أو كما يحبون أن يطلقوا عليها (كومباوندات) ليفصلوا في المسمى بين (المقاطعات) وهو الاسم الذي وضعوه لعشوائيات الفقراء القَذِرة ومدنهم الحديثة الراقية التي تعمل بأحدث أساليب التكنولوجيا، أماكن مهجورة ومبانٍ كانت يومًا عظيمة، الآن يقطُنها العفَن والفئران والكثير من المتهربين من أقساط شركات الأعضاء، هؤلاء تخطّوا قاع المجتمع، لم أعلم أن ذلك ممكن بالأساس، قاع المجتمع بعيدًا عنهم لدرجة أنهم قد يحتاجون لسنوات حتى يصلوا إليه، ليس هناك قانون في هذا المكان، فقط القوة، يقتلون بعضهم البعض، تقتلهم الحكومات، ليس هناك دية لهم، قيمتهم كأحياء تتوقف على قيمة تلك الأعضاء التي يملكونها، يبقونهم أحياء بالكاد كمخزن للأعضاء حين يريد أحد الأثرياء أعضاء حية وليست صناعية تراقبها الشركات والحكومات بالتّبعية.

خرج من الغرفة بعدما فرغَ صدرُه من عاصفة الكلمات التي اجتاحته، وجد «روان» في غرفة المعيشة ترتدي رداءً أسود صَيفيًا خَفيفًا يُبرز جمال بشرتها البيضاء، مستلقية على أريكة ناعمة تمسك بجهاز التحكم ضاغطةً أزراره بملل، توقفت عندما انتبهت لـ«قاسم» الذي وقف ينظر للتلفاز بينما يعرض أحد الإعلانات الكثيرة لشركة «روبوبارت»..

ظهر أحد الممثلين المشهورين بأدواره العديدة في أفلام الإثارة والأكشن يقول بينما يمسك بعين صناعية ويشرح إمكانياتها العديدة لتحسين الإبصار حتى في أكثر الأماكن ظلمة والقدرة على تغيير لونها لعديد من الألوان الجذابة للرجال والنساء..

ثم اختتمَ الإعلان بقوله: "من أجل مستقبل أفضل..

أعضاء «روبوبارت» هي أفضل خياراتكم..

نحن نهتم بنمط حياتكم...".

لم يسمع باقي الإعلان لأن زوجته أغلقت التلفاز ثم حاولت النهوض بصعوبة ولم تستطع، اقترب منها يساعدها لتنهض ولكنها رفضت بصرامة، أصرّ على مساعدتها، عانقها ومسح بيمناه شعرها الأسود الناعم المُسترسِل على ظهرها كنهر من الظلام يلمع، قبّل وجنتَها قائلًا: "لا أعتقد أن والدك سيكون مسرورًا لعدم تمكنك من إكمال إعلان شركته".

أجابته بغضب لم يذهب به العناق والقُبلات: "هي ليست شركته، هو فقط أحد حاملي أسهمها وأحد أعضاء مجلس إدارتها". ثم أردفت تتساءل بغضب: "من أعطاك ذلك المال؟".

أجابها برفق: "لقد عالجتُ إحدى العيون الصناعية لسيّدة ثرية وهذا المبلغ أجر ذلك".

تنفّست الصعداء، لقد تخلّت عن الحياة الوثيرة في قصر والدها لأنها أحبت ذلك الشاب العصامي الذي يقدّر شرفَه أكثر من حياته، أحبّته وتزوّجته رغم رفض والدها القاطع الزواج من ذلك الشاب الفقير الطامع في ثروة عائلته، لن تستطيع إكمال حياتها معه لو علمت أنه أصبح شبيهًا بوالدها الذي يُبرّر كل أفعاله بالرّغبة لزيادة رفاهيّته وثروته.

سحبها من زحمة ذكرياتها وأفكارها قولُه بحنان: "تبدين في غاية الجمال اليوم."

وقد كان محقًا، الحمل جعلها تُهمل في الاهتمام بنفسها ومظهرها لبعض الوقت، ولكن بعد تجهيز الغداء، وجدت وقتًا وجيزًا لتتجمّل قليلًا وتضع بعض الحُمرة على وجنتَيها ناصِعَتي البياض، وبعض الكحل ليُزيّن عينيها الواسعتين وبرزَ أنفُها الدقيق لتكتمل صورة الجمال الذي أحبه «قاسم» منذ وقع نظره عليه في أول عام في كلية الصيدلة قسم الهندسة الحيوية (BIO ENGINERING).

***

نادته سيدة في طريقه للعمل في اليوم التالي من إحدى شقق الدور الأرضي، التفت مبتسمًا لها، دَعتْه لداخل شقتها يتبادلان عبارات الترحيب.

أخبرته أن «ريان» بحاجة لمساعدته، كان «ريان» ابنها طفلًا في الثالثة عشرة من عمره ولد بعين ناقصة استبدلها بعين صناعية، بالإضافة إلى ذلك ولد بمناعة ضعيفة، لذلك عاش كامل حياته القصيرة داخل فقاعة بلاستيكية سميكة عُقّمت بالكامل، لا يستطيع الخروج منها أو لمس شخص آخر بدون بذلة خاصة

بلبسها تفصل بينهما، حوله الكثير من الأجهزة الإلكترونية يشغل بها وقته ويَستعيض بها عن التعامل مع العالم الخارجي.

أشارت أمه السيدة «أميرة» على غرفته فمضى إليها، كان «قاسم» قد اطّلع على آلية عمل تلك الفقاعة ويقوم بصيانتها من حين لآخر لأن استدعاء الشركة المصنعة يتكلّف مبالغ طائلة لا تملكها السيدة «أميرة» ولا الدكتور «علاء» زوجها.

كان الدكتور «علاء محمد» يعمل في أكبر مستشفى خارج حدود المدن والأحياء الراقية، ولكن يظلّ راتبه متواضعًا للغاية بالمقارنة مع زميله الذي يتخصّص في مجال النساء والتوليد بالمستشفيات داخل الأسوار.

قابله الدكتور «علاء» بينما يهم بالخروج هو الآخر ذاهبًا لتلبية نداء طوارئ بعد راحة لا تزيد عن ثلاث ساعات تعقب دوام (SHIFT)عشرين ساعة متواصلة.

قال بأعين تنسدِل تلقائيًّا تترجّاه أن يعود للفراش: "كيف حالك يا جاري العزيز؟ توقّع ولادة ولي العهد خلال الأيام القادمة."

أجابه «قاسم» بابتسامة قلقة: "أنتظره على أحرّ من الجمر."

ثم اعتذر منه للذهاب لأن هناك حالة لا تحتمل التأخير كما أخبره.

مضى «قاسم» لداخل غرفة «ريان» فوجده محدّقًا في التلفاز الكبير بغرفته مُمسكًا بإحدى أذرع ألعاب الفيديو يلعبها بتَوتّر وشغف فلم يَنتبه لقدوم «قاسم» للغرفة.

قال «قاسم»: "يجب أن نتوقف عن المقابلة بهذه الطريقة، لقد أصبحتُ عجوزًا ولم تعد لديّ طاقة". كان يقتبس من شخصية مُحقّق في أحد الأفلام التي يعشقانها.

انتبه «ريان» وأشرقَ وجهُه الرّقيق عن ابتسامة وقال يكمل الجملة اللازمة لشخصية المحقق: "إنها حياة قصيرة لنَقضيها هكذا".

ترك ذراع التحكّم من يده، ذهب للطاولة وأمسك بذراع أخرى لطائرة صغيرة مُسيّرة (DRONE) كانت قد أُهديت له في عيد ميلاده الأخير ثم حاول تحريك الطائرة بالريموت دون جدوى.

أمسك «قاسم» بالطائرة وقال: سأرى ما الخَلل فيها". ثم أردف بحماس: "ما رأيك لو وصّلتُ كاميراتها بعينك الصناعية؟."

تهلّل وجه «ريان» عن ابتسامة عريضة، قال بشغف وحماس شديدين: "أعتقد أنك على صواب سيدي المحقق."

«أيضًا تلك جملة مساعدة المحقق عندما ينتهي من إبداء رأيه في الجرائم التي يحقق فيها».

***

في منتصف الليل بعد مرور عدة أيام روتينيّة استيقظ مفزوعًا في الليل بسبب صراخ زوجته تُخبره أنّ ماءها قد سال، تعالت صرخاتها مع الانقباضات المتتالية، نظر إليها بجزَع وكأن عقله توقف عن التفكير لهُنيهَة، تمالك نفسه، نهض وتناول الحقيبة التي أعدّاها للطوارئ، اتّكأت على كتفه حتى نزلا وركبا السيارة، انطلق «قاسم» يزداد تَوتُّره مع كل انقِباضة وصرخة تصرخها.

شحبَ وجهها وتَلألأ بحبات العرق الكثيفة، صرخت بألم شديد: "أسرع، لا أريد أن ألدَ في هذه السيارة القديمة."

زاد صراخها من تَوتُّرِه وقلقه، تقيّأ مرتين في طريقهما للمستشفى، توقف كثيرًا عند نقاط التفتيش، كان تعنُّتهم يقل حينما يجدون امرأة تلد في المقعد الخلفي للسيارة، أو ربما لم يطيقوا سماع

صراخها المستمر، أو يرون في أي مولود عميلًا جديدًا للشركة التي يدينون لها بالولاء.

وصلا المستشفى أخيرًا، حملوها على عربة وأسرعوا بها لغرفة العمليات طال بقاؤهم بالداخل بينما ينتظر في قاعة الانتظار، ساعة مرّت عليه بطيئة كأنها دَهرٌ كامل، تناول كل المشروبات المُهدئة لديهم من ليمون ونعناع وغيرها، لم يفلح شيء، هاتفَ والد زوجته السيد «رمزي الصالحي» عديد المرات دون رد، هاتفَ والدة زوجته السيدة «كاريمان عزيز» فردت سريعًا، أخبرها أن ابنتها تلد الآن، اغرورقت عيناها بالدموع، لم تُصدّق أنها خلال ساعات أو ربما دقائق ستصبح جدّة، لم تكن موافقة على تلك الزّيجة أيضًا، ولكن كل تلك المشاعر تلاشت أمام عينيها الآن.

انتبهت لصوت «قاسم» يتردد في الهاتف، لم تكن قد نطقت بكلمة حين أخبرها الخبر السعيد، تلجّم لسانها من الصّدمة.

قالت أخيرًا: "أرسل لي موقع المستشفى، سنكون هناك في خلال وقت قصي". ثم أغلقت.

قدم دكتور «علاء» خارجًا من غرفة العمليات بوجه جامد خالٍ من التعابير، تلاعبت الأفكار والسيناريوهات الكارثية بعقل «قاسم» بينما ينهض ويسير تجاهه بسرعة فائقة.

كانت تلك الأفكار تَنخُر رأسَه في كل لحظة يتأخر فيها حديث دكتور «علاء» الذي قال أخيرًا يَرتسم على وجهه الوُجوم والقلق الشديدين: "كانت هناك إشاعات عن أطفال يولدون أصحاء تمامًا، لم أستطع تصديق ذلك دون أن أراه، لم أظن أن ذلك ممكن من الأساس".

قال «قاسم» يتصاعد بركان القلق الثائر بداخله: "أنا لا أفهم، ماذا حدث؟ هل زوجتي والطفل بخير؟".

أجابه دكتور «علاء»: "نعم، هما بخير، لقد تمكّنت من إخفاء سأقوله لك عن الجميع، الطفل وُلدَ بدون أعضاء ضامرة أو ناقصة، لقد تأكدت بنفسي مرتين، عن طريق الأشعة على كامل الجسم، جميع أعضائه الداخلية والخارجية لا تَشوبها شائبة". ثم أردف بحماس: "شَريطه الوراثي لا يحتوي على أي عيب، هذا لم يحدث منذ عقود، إنها معجزة".

هدأ قلق «قاسم» ولكن ليس لوقت طويل، تصلّب في مكانه، توقف عقله عن التفكير للحظات، توجه نحو أحد الكراسي المريحة بغرفة الانتظار، جلس ثم قال للدكتور «علاء»: "لا يمكنه البقاء هنا، لو علم أحد بشأنه سيُطاردونَه بقية حياته".

تعجب دكتور «علاء» من قوله، قال: "يجب أن يعلم العالم بشأنه، لا تستطيع إخفاء معجزة كهذه".

طلب «قاسم» رؤيته، اصطحبه دكتور «علاء» لركن بعيد في حضّانة الرضع حيث قام الدكتور «علاء» بمساعدة إحدى الممرّضات بإخفائه..

اقترب «قاسم» من الحضّانة ولمس زجاجها الخارجي بينما ينظر لطفله صحيح الجسد، تتحرك يداه وقدماه بعشوائية، تتجوّل عيناه في كل مكان، يبكي ليُرضَع.

التفت للدكتور «علاء» قائلًا يترجّاه ودموع القلق تتلألأ في عينيه: "لا أريد أن أفقده، رجاءً أبقِ الأمر سرًا حتى أعود، لا يجب أن يعلم أحد بشأنه."

قام «قاسم» بتصوير اليد اليسرى لابنه الرضيع من كل الزوايا وذهب سريعًا نحو سيارته حيث كان يحتفظ بطابعة ثلاثية الأبعاد، حمّل الصور عليها، استغرقت العملية بعض الوقت حتى طُبعت يد سيليكونية مفرغة أسرع ووضعها على يد ابنه ليتخيّل الناظر إليها أنها يد صناعية ثم حمله وتوجه نحو غرفة زوجته بينما تستفيق من التخدير تهذي ببعض الكلمات والجمل الكثيرة غير المفهومة تبيّن منها أنها تحاول السؤال بيأس عن أبيها وأمها.

نظرات وجهه قبل كلماته أخبرتها أنهما لن يأتيا، كانت تتمنى أن ذلك الطفل سوف يعيدهما إلى حياتها التي تفتقدهما فيها بعد زواجها من «قاسم» وقطعا العلاقات معها لأنهما لم يستطيعا أن يتخطّيا تمرّدها عليهما.

***

في صباح اليوم التالي خرجوا من المستشفى، جلست «روان» على كرسي متحرّك بينما حمل «قاسم» الطفل.

قال «قاسم» بينما يسير بجوارها ويدفع الكرسي: "ماذا سنُسمّيه؟."

أجابته «روان» في وهْن: "أنا أحب اسم «سيف» أو «أمجد»، ما رأيك؟".

أنا أميل لاسم آخر، دعينا نتناقش حين نصل المنزل.

خرجا من المستشفى يتوجّهون نحو السيارة، اقتربت منهم سيارة سوداء بالكامل لا تستطيع رؤية داخلها، توقّفت قبالتهم ونزل منها السائق يقول ل«قاسم»: "مرحبًا سيد «قاسم»، لقد أرسلتني السيدة «كاريمان عزيز» لأقلّكما."

أجابه «قاسم» بضيق: "الوقت غير مناسب الآن ربما فيما بعد".

لم يتحرّك السائق، قال بتصميمٍ عجيب: "لا أستطيع الذهاب بدونكم، السيدة «كاريمان» أمرتني بذلك".

على مَضضٍ ركبوا السيارة ومضوا نحو مدينة «جلوري» وتعني المجد بالإنجليزية (GLORY) أحد المدن الراقية التي تطل على النيل، لم يتوقفوا كثيرًا عند نقاط التفتيش، مجرد أن يظهر اسم مالك السيارة أمام الضابط يسمح بمرورها مباشرة.

قال «قاسم» بتهكّم: "هذه سيارة سحرية".

لم تكن «روان» في مزاج لمُبادلتِه المزاح، تلك كانت أول مرة سترى فيها أبويها منذ قرارها الزواج من «قاسم» وما تبع ذلك من معارك قِيلت فيها الكثير من الكلمات الجارحة، دائمًا ما كانت تكره المواجهة وبالأخص أخيها الصغير الذي ذهبت دون وَداعِه ولا يريد التحدّث إليها منذ ذلك اليوم مهما كان عدد المرات التي تهاتفه فيها.

عبرت السيارة من البوابة الرئيسية للمدينة، التقطت أنوفهم رائحة الهواء النقي بعدما كانت قد تعوّدت على رائحة المُستنقعات وبالوعة العرق خارج الأسوار وكأنها تعمل كحاجز تمنع تلك الروائح العَفِنة من الدخول ومضايقة الأثرياء، مضت السيارة لوقت قصير بين العمارات والأبنية الشاهقة التي أبدع المهندسون في تصميمها فمنها على شكل الصاروخ ومنها على شكل سهم مُدبّب وأشكال أخرى لا تستطيع إلا أن تقف أمامها فاغرًا فاهَك من روعة بنيانها.

توقفت السيارة أخيرًا أمام قصر السيد «رمزي الصالحي» وتركهم السائق أمام الباب ثم مضى.

طرقوا الجرس، فتح أحد الخدم، ومن خلفه كان واقفًا فتى لم يتجاوز عمره العشرين عامًا يدعى «سيف»، ذو بشرة قمحيّة وشعر طويل أسود وبعض شعيرات تعلو فمه لتصنع ما يشبه الشّارب القصير، تغطّي عينيه نظارةٌ سوداء ثمينة خلعها بيده ثم نظر لـ«روان» بنظرات حادة غاضبة قابلتها بنظرات حانية مُستعطِفة.

التفتَ لـ«قاسم» قائلًا: "أعطني سببًا لكي لا أقتلك الآن، أعطني سببًا يمنعني من سحب الزِّناد". ثم رفع مسدسًا صغيرًا في وجهه.

رفعَ الغطاء الذي يُغطي طفله الرضيع.

خفض «سيف» سلاحَه، وتأمّل الرضيع بأعين مُتجمّدة ثم تنحى جانبًا وتركهما يعبران لداخل القصر، ارتسمت ملامح وجه «قاسم» بالانبهار لما رآه داخل القصر أكثر من خارجه، اللون الذهبي طَغى على مجال رؤيته، الأرض من سيراميك لامع يعكس أنوار الثريّات العملاقة المُتلألئة المتدلية من السقف، سار في الصالة الفسيحة لفترة ليست بالقليلة، يتوسطها عمودان أسطوانيّان مزخرفان بنقوش بديعة ومُطعّمان بطلاء ذهبيّ زاهٍ، وصلا أخيرًا لأرائك وَثيرَة تتوسط قاعة بآخر الصالة، وصلا إليها عبر بضع سلالم رُخامية سوداء، كان ينتظرهما السيد «رمزي الصالحي» وزوجته السيدة «كاريمان عزيز»، يبدوان كشابين في عقدهما الرابع من عمرهما بما لا يتناسب مع عمرهما الحقيقي، كان السيد «رمزي» يمتلك شعرا ناعمًا بنيّ اللون، وعينَين زرقاوين، وجهه خالٍ من الشعر، أما السيدة

«كاريمان»، كانت ذات قوام ممشوق وشعر طويل أشقر اللون مُسترسل على كتفيها كنهر من الذهب الخالص، على ذقنها ورقبتها بعض اللواصق الطبية لعملية تجميلية جديدة قامت بها مؤخرًا.

توجه «قاسم» نحو السيد «رمزي»، حاول مُصافحته قائلًا: "إنه لشرف لي مقابلتكم أخيرًا".

لم تتحرك اليد اليمنى للسيد «رمزي»، رَمقَه بنظرات استحقار فسحب يده بغيظ شديد أخفاه بداخله.

قالت «روان» بإعياء: "أرى أنكما لم تتغيّرا رغم مرور كل ذلك الوقت". ثم أردفت ساخرة: "لا، أعتذر، هناك الكثير من التغييرات على وجهيكما، تبدوان أصغر في العمر من آخر مرة رأيتكما، لا أعلم كيف تفعلانها".

نهضت أمها بصمت، عانقتها بقوّة ثم قالت بعدما انتبهَت للرّضيع الذي يحمله «قاسم»: "ماذا ستُسمّيه؟".

اقتربت من «قاسم» وطلبت حملَه، نظر «قاسم» لـ«روان» يتساءل عما تريده أن يفعل، أومأت بالإيجاب.

التقطت السيدة «كاريمان» الرضيع برفق، ونظرت إليه بأعين اغرورقت بالدموع.

قالت «روان»: "«سيف»، سوف نسمّيه «سيف»". ونظرت إلى أخيها الذي كان يُراقب الموقف بصمت.

قطع السيد «رمزي» التّوتُّر بقوله غاضبًا: "أريد أن أتقاعد يومًا ما، سيَتحتّم عليكما أن تتولّيا المسؤولية حينها، ما نفع الخلود إن لم أستمتع به؟".

التفتت إليه «روان» وأجابتْه بحزم: "أنا لا أريد أن أعمل لديك يومًا واحدًا".

أشرقَ وجهُ «سيف» الذي ظنّ للحظة أنه سوف يتقاسم إدارة إمبراطورية شركات والده وأسهمه في أحد أهم شركات الأعضاء الصناعية في العالم في هذا المجال ثم قال: "أنا لن أخذلك يا أبي".

نهض السيد «رمزي» غاضبًا، صاح: "هذا الطفل لن ينال سنتًا من ثَروني".

دمعت عينا «روان»، جلست على أقرب أريكة بجوارها لفرط إرهاقها وقالت: "أنا لا أريد منك شيئًا".

قالت السيدة «كاريمان» بأسى: "أنا لا أعتقد أن الآن الوقت المناسب لمثل هذا الحديث، اليوم نحتفل بقدوم هذا الطفل الرائع".

اقترب السيد «رمزي» من «روان» وقال بأعين تشتعل بالتصميم الحديدي: "أنا لا أعتقد أن لرَغبتِك أهمية في قراري".

أجابته «روان» بعناد شديد: "أنا لست طفلة صغيرة تحرّكها كالدّمية كما تشاء".

السيد «رمزي» ساخرًا: "فتاة مُدل!لة".

نهضت «روان» بالرغم من فرطِ إعيائها، صاحت: "لا يمكنك قول تلك الافتِراضات بشأني، أنت لا تعرف أي شيء عني وعن حياتي، وعما عانيته خارج تلك الأسوار اللعينة". ثم أردفت: "لأنني امرأة، منذ ولادتي الجميع يتوقع أنني سينتهي بي المطاف أعمل لديك أو أن أكون زوجة أحد أبناء العائلات الثريّة من أصدقائك الفاسدين أو أكون أمًا لأبنائه، أنتظره في المنزل طوال

اليوم حتى يعود من عمله، أساعده في إقامة تلك الحفلات المنافقة وأبتسم لأولئك الأوغاد، لكنني لن أكون جزءًا من قصّة شخصٍ آخر، إنه قراري أن أصنع قدري، أعيش حياتي بالطريقة التي تُرضيني، لن أقبل بأقلّ من ذلك، لن أقبل أن أعيش حياة خُطّطت لأجلي قبل أن أُولَد".

ضحك السيد «رمزي» وقَهقهَ بصوتٍ عال ثم قال: "الإرادة، الحرية، هذه الشعارات التي يقولها الفقراء لإقناع أنفسهم أن فقرَهم ليس بسبب ضعف مَواهبهم وأفكارهم، ولكن بسبب أن الأغنياء يَستأثرون بالفرَص التي هم أحقّ بها، هذه فقط قصص خرافية، الجميع يعلم ذلك، كلمات اخترعها الفقراء والفانون وردّدوها لتبرير فشلهم". ثم أردف بعدما جلس بجوارها يحدثها بعد أن هدأت ثَورتُه قليلًا: "أنا حقًا أريدك أن تعملي معي، تحفظي إرثي الذي أفنيتُ عمري لتَشيِيده، عندما تعيشين عدد السنين التي عشتها، ستعلمِين أولوياتك في الحياة، ستَميلين إلى تقدير أشياء مختلفة، ما كان مهما للغاية بالنسبة لك من قبل، قد يصبح أمرًا تافهًا اليوم، لقد عشتُ ما يزيد عن المائة عام، معظم جسدي لم أولد به، يأتي وقت يكون العقل منهكًا وإن كان الجسد صحيحًا كشاب في العشرينات من عمره، هذا شعور من عاش أكثر من اللازم، من تحدى قوانين الطبيعة الصارمة، قد تظنين أنني أهذي، أن مشاكل الأثرياء تلك ليست حقيقية، ربما أنا أهذى بالفعل، لا أعرف، العقل لا يظل صحيحًا للأبد، قد يكون ما أحتاجه حقًا هو الراحة، الراحة من ضجيج العمل المتواصل، حتى يمكنني الخلود بهدوء".

صُعق «قاسم» عندما سمعَ العمر الحقيقي للسيد «رمزي»، تساءل في قرارة نفسه هل سيبدو بتلك القوة والشباب عندما

يبلغ نفس عمره؟ أم أن ذلك حكرًا على الأثرياء فحسب، كان صامتًا طوال حديثهما، رؤيتها تُجابه والدها ذكّره بالسبب الذي أحبها من أجله حين كانا في الكلية التي استحقّ مكانه للدراسة بها عن طريق جمعياتهم الخيرية التي يُنشئها الأثرياء ليشعروا بشعور أفضل، لإقناع أنفسهم والآخرين أنهم يفعلون خيرًا للعالم، بينما جشعهم وثراؤهم الفاحش هو ما ألقى الناس في مُستنقَع ذلك الفقر المُدقِع، تلك الأعمال التي تقوم بها جمعياتهم ليست سيئة، ولكنها قطرة من الواجب عليهم فعله ليردوا للمجتمع الذي تسبب في ثَرائهم في الأساس جزءًا من حقه عليهم.

بهدوء أجابت «روان» والدها: "يا أبي، هذا عكس قوانين الطبيعة، لا ينبغي لنا الحياة للأبد، أنا أشكّ أنك استمتعتَ حقًا بيوم واحد عِشتَه، دائمًا ما تخشى أن تموت بالخطأ، هذه ليست حياة، الخوف طوال الوقت، أنت فقط تنجو من الموت يومًا بعد يوم، شهرًا بعد شهر، عامًا بعد عام".

صاح السيد «رمزي» بغضب وقد سئمَ من عِنادها: "أنا لم أبتدِع الخلود، النبي نوح عاش ألفًا إلا خمسين عامًا، كيف بإمكانه الخلود بينما نحن لا؟".

تأكّد شك «روان» أن والدها لم يقل تلك الكلمات عن إنهاك عقله إلا ليَستعطِفها، دائمًا ما كان ماكرًا، يحصل على ما يريد بأي طريقة مُتاحة، قالت: "يمكنك الاستمتاع بخلودك ولكن ليس على حساب الفقراء، إنهم يتصارعون على الفُتات الذي تَرميه لهم، يموتون بالعشرات كل يوم، يومًا ما ستستيقظ ولن تجد من يشتري منك ما يجعلك فاحشَ الثراء".

أدرك السيد «رمزي» أن حِيلتَه لم تُجد نفعًا، فلم يعد هناك سببٌ للاستمرار فيها، ثم قال: "أظن أنكِ مخطئة، هؤلاء من يموتون يُولد أكثر منهم كل يوم، أصبح الطعام والجنس وسيلة مُتعتهم الوحيدة وغايتهم التي يتصارعون من أجلها، أنا لا أخشى الفقر بقدر ما أخشى الموت، الجميع يريد الخلود، الخلود يُمنح فقط للقليلين بينما يجب على غيرهم الموت، هذه فقط سنة الحياة".

ارتسمَت على وجه «روان» ملامح الغضب المُستعِر ثم صاحت في وجه والدها: "لا يجب على أحد أن يعيش للأبد بينما يتَحتّم على غيره الموت لتحقيق ذلك". ثم اندفعت مغادرة المنزل.

***

نخرَت فكرة واحدة عقل «قاسم» طوال عودتهما لمنزلهما: "أتوقُ لورقة أضعها في كاتبتي الآن، هناك أفكار أحتاج لطباعتها على الورق حتى تتوقف عن مطاردتي".

"عزيزي القارئ/

تأمل معي الوقت؛ ذلك المفهوم الغريب الذي نستطيع قياسه بالتغيير الذي يحدث، ماذا لو بقي الوضع على حاله؟ ماذا لو لم يتغير شيء؟ هل نستطيع وقتها إيقاف الوقت حتى يتغير الوضع مجددًا؟ الحياة تتغير حولك فلا تشعر بوقوفها لديك..

أرى سؤالًا آخر يلمع في عينيك عزيزي القارئ، ماذا ستفعل لو كان لديك مائة عام من الوقت؟ ما الأمر الجديد الذي توَد تجربته؟ أو ربما تعشق الروتين فتكرر أيامًا مُملة يومًا وراء يوم، أنا سأجوب العالم مدينة تلوَ الأخرى، أرى حيوات الناس وعاداتهم وتقاليدهم، سأقرأ كل ما يقع تحت يدي من الكتب

فأضيف حيوات أخرى إلى حياتي، أرى مَقتَك من قراراتي، فتشبّهني بالذي خرج له الجني من الفانوس السحري وأتاح له ثلاثة مَطالب يحققها له فكان أول مطلب عدد لا نهائي من المطالب، لماذا أرضى بحياة واحدة ولو كانت طويلة بطول قرن كامل بينما هناك حيوات أخرى أستطيع إضافتها أيضًا؟ لم أُؤذِ أحدًا، لم لا أكون طمّاعًا؟ لذا دعَ عنك تلك النظرات الحادة التي ترمُقني بها.

عزيزي القارئ/

هل علمت أن معظم الأثرياء يموتون منتحرين؟ ربما هناك جانب من الحقيقة في حديث السيد «رمزي»، ولكنهم قليلون يتحكمون في مُقدّرات الشعوب، القليل من قُدّر له الخلود، القليل لديه القدرة على الهروب من الموت، هل نَغبِطهم على خلودهم أم نسعد بمعاناتهم؟ لا أعلم، لا أحد يعلم، سيظل لُغزًا من ألغاز الحياة التي دائمًا ما تَخذلنا فقيرًا كنت أو غنيًّا، الفقراء يموتون والأثرياء لا يستمتعون بحياتهم، خالدون يتوقون للموت وفانون لا يستطيعون الحياة، مفارقة القدر القاسية".

وصلا أخيرًا المنزل بعد رحلة هيمنَ عليها الصّمت. باغتها «قاسم» بسؤاله: "ماذا يدور بعقلك؟ لقد كنتِ صامتة طوال طريق العودة".

كانت الأفكار تجوب عقل «روان» طوال طريق العودة أيضًا، صرخت باستنكار لتُجيب عن تساؤله: "هل يظن أنني سوف أعمل لديه ليتحكّم بي مجددًا؟".

«قاسم» محاولًا امتِصاص غضبها الهادر: "أنا أعتقد أنه يؤمن بكِ القيادة شركاته من بعده".

لم يعلم أن ما قاله قد حوّل دفّة غضبها تجاهه حين أجابته: "أتدافع عنه؟ أنت لا تعلمه كما أعلمه أنا، لن يتخلى عن سيطرته للحظة، قوله عن شيخوخة العقل وكل ذلك الهُراء ما هو إلا إحدى طرقه ليكسب تعاطفنا ويجعلنا نفعل ما يخطط له، إنها ليست أول مرة، لن يترك إدارة الشركات لا اليوم ولا الغد ولا أي وقت قريب في المستقبل".

تساءل «قاسم» بحيرة: "ماذا ستفعلين الآن؟".

أجابته «روان» بعدما حملت «سيف» وجلست لتستريح على الأريكة وهدأت قليلًا: "لا أعلم، ما أعلمه يقينًا أنني سوف أُربّي ولدنا وأمنحه حرية الاختيار لما يريد أن يكون لن أرسمَ له حاضره ومستقبله".

بتردد قال «قاسم»: "هناك شيء أريد إخبارك به بشأن «سيف»، أظن أنك أسميتِه بدون أن نتناقش، اسم جميل، أحببته بالفعل".

ارتسمَ على وجهها الفضول المُمتزج بالقلق.

اقترب «قاسم» من الرضيع وأزال اليد السليكونية الخادعة.

تجمّدت مكانها من هول الصدمة لهُنيهَة، حاولت الحديث ولكن أُلجمَ لسانها، ازدحم عقلها بالأسئلة ولكن السؤال الأهم في ذلك الوقت كان: "من غيرنا يعلم؟".

أجابها «قاسم» بقلق: "فقط دكتور «علاء»، تَرجّيته ألا يخبر أحدًا، لا يمكننا المخاطرة بأن يعلم أحد، لن يحيا حياة طبيعية إن انتشر مثل هذا الخبر".

حملت «سيف» وعانقته لصدرها حتى كاد يختلق، حاولت مقاومة العبرات التي تسيل على وجنتَيها، تعلم أن ذلك الأمر لن

يَستَطيعا تَخبئتَه لكثير من الوقت، حين يتنشر خبر أنه وُلد طفل صحيح بدون أي ضمور ستتغير حيواتهم الهادئة المستقرة للأبد.

تساءلت تتساقط الدموع من عينيها: "كيف سنتمكن من إخفائه؟".

أجابها «قاسم» محاولًا إخفاء قلقِه: "سوف نتدبر الأمر، نحن مضطرّون لذلك".

***

بعد مرور أيام كان قد جهّز مَكتبًا خشبيًّا صغيرًا وضع عليه آلتَه الكاتبة في غرفة نائية كانوا يُلقون فيها الأشياء التي خربَت أو قدمَت، أصبحت تلك الآلة الكاتبة العتيقة مِحرابه الذي يلجأ إليه لينفّس فيه عن بعض قلقه أن ينكشف أمرهم، ارتشف رشفةً من قهوته التركية السوداء ثمّ داعب أزرار الآلة الكاتبة..

"عزيزي القارئ من المستقبل/

أليست تلك مُفارقة لعينة، بالطبع ستكون من المستقبل، لا يُعقل أن تكون في الماضي حيث تلك الورقات لم تكون موجودة بعد، أو تقرأ ما أكتب على الفور، كل القراء من المستقبل، ولكن هناك مستقبل حيث أستطيع أن أجلب لنفسي كوب ماء وآخر حيث لا أستطيع رفع يدي البالية لفعل شيء، وهناك مستقبل حيث لا دليل على أنني مشيتُ على هذا الكوكب عدا إرثي من الكلمات التي دوّنتها أمامك الآن، التاريخ ربما يتوقف أمامه فلا يُعيره أدنى اهتمام، أو يخلّد تلك الصفحات مع الذين خلّدهم من قبل، الأمر يعود إليك عزيزي القارئ من المستقبل، قد تكره ما دوّنته وتجدها عبارات مَقيتة من شخص مات وتعفّن، وربما

تجد تلك الكلمات السبيل فتَتخلّل لداخل عقلك وتجد في قرارةِ نفسك رغبةً لعينة لتجعل الجميع يقرأ إرثي وما ألّفت.

عزيزي القارئ من المستقبل/

أنا لا أحبك، أنا لا أعلمك كي أحبك، لا أُحب نظراتك التي تحكم عليّ، يقولون أن الكاتب خُلاصة تجاربه، ليس من العدل أن تحكم على كتاباتي خلال تجاربك أنت، إن وجدت ما تستطيع الشعور به فيَعلوا قيمة النص في نظرك، وإن لم تجد ما يمسّك ويلمس حياتك بشكل مباشر تحكم على كتاباتي بالسوء والرّداءة، هذا ليسَ عدلًا".

***

18 يناير 2138..

كان مُنهمكًا في عمله ومَتجرِه لصيانة الأعضاء الصناعية خلال تلك الأيام لتلبيةِ مطالب المنزل خصوصًا مع قدوم الزائر الجديد.

في صباح ذلك اليوم استيقظا على دقّات عنيفة على الباب، فتحا فوجدا السائق الذي أقلّهما من قبل المدينة «جلوري» يقف بجواره السيدة «كاريمان عزيز» تغطي وجهها بجهاز على شكل كِمامة فلترة الهواء.

سادت لحظات من الهدوء قطعها «قاسم» بقوله: "مرحبًا، تفضلي لمنزلنا المتواضع".

التفتَت السيدة «كاريمان» للسائق فتركهم وانصرف.

ثم قالت لـ«قاسم»: "هل يمكنك تركنا بمفردنا؟".

أمسك بالطائرة المسيّرة الخاصة بـ ريان» بعدَ أن أتمّ إصلاحها وجهاز التحكم الخاص بها ومضى قائلًا: "أنا أريد المرور على شقة الدكتور «علاء» على أية حال".

انقبض قلب «روان» حينما سمعت ذلك الاسم، فهي تعيش في قلق دائم أن يُخبر أحدًا ويكشف أمر «سيف» فاحتضنَت الرضيع لصدرها بقوة.

أزالت السيدة «كاريمان» الكمامة التي تغطي وجهها ثم تجولت بنظرها فى أرجاء الشقة حولها وقالت بتأفّف: "كيف تستطيعين العيش في هذا المكان القبيح؟".

أجابتها «روان» باستنكار: "هذا ما أطلق عليه منزلي".

اقتربت السيدة «كاريمان» منها التقطت «سيف» واحتَضنَته وقبّلته بشوق تُحدّثه بصوت طفولي: "كيف حال حفيدي؟".

ارتسمَ على وجهها القلق، أردفت: "يجب أن تعودي للقصر، لا أشعر بالأمان عليكِ أو على «سيف» وسط هؤلاء الهمَج".

«روان» بصرامة: "سعادتي في هذا المنزل الذي لم ينَل إعجابك أكثر من حياتي في القصر".

وقفت السيدة «كاريمان» مَشدوهَة؛ لم تكن تتخيّل أن ابنتها قد ترفض عرضها لانتشالها من الحياة في ذلك المنزل القذِر.

أردفت «روان» بينما تكمل ارتداء ملابسها تستعد للمغادرة: "لو أنكِ أنهيت حديثك، يَتحتّم علي النزول الآن، اليوم هو أول يوم أعود فيه للعمل بعد انتهاء الإجازة، جليسة الأطفال على وشك الوصول".

السيدة «كاريمان» باستنكار: ما الذي تعرفينه عن جليسة الأطفال تلك؟".

أجابتها «روان»: "لا شيء، لقد أرسلتها الشركة وتقول إنها خبرة السنوات في التعامل مع الرضع والأطفال".

ارتسم الغضب على وجه السيدة «كاريمان»: "كيف تأتمِنينَ «سيف» مع شخص لا تَعرفيه؟ سأعطيك ضعف الراتب الذي تناليه في عملك ذلك".

«روان» بلا مبالاة: "لا أعتقد أن والدي سوف يوافق على ذلك، يجب أن تذهبي الآن قبل أن يفتقدك حين يستيقظ".

اكتسى وجه السيدة «كاريمان» بالحزن ثم قالت: "لا أظن ذلك، والدك لديه الكثير يشغله في هذه الأيام، لا أعتقد أنه سيلاحظ غيابي".

«روان» بتعجب: "لماذا؟".

السيدة «كاريمان»: "يحاول أن يعيش شبابه مجددًا، كثير السفر، لا يكاد يستقر في المنزل لأيام معدودة، لا أراه كثيرًا هذه الأيام". ثم أردفت: "يكفي حديثًا في ذلك الأمر، أنا سوف أمكثُ مع الطفل، لن أسمح أن تتركيه مع شخص لا تعرفينه، سأظل معها حتى أطمئن".

«روان»: "حسنًا، سأذهب الآن". ثم تركتهما ومضت.

***

دلف «قاسم» لغرفة «ريان»، وجدَه مُمسكاً بذِراع تحكم لأحد ألعاب الفيديو من داخل فقاعته البلاستيكية وصديقه بخارج

الفقاعة يمسك بالذّراع الأخرى مُنهمكَين في النظر بتركيز شديد للشاشة أمامهما..

كان صديقه يدعى «سامر»، في نفس عمره تقريبًا، يقطن مكانًا ليس ببعيد عن العمارة، قصيرًا ونحيفًا نسبيًا، شعره بنيَّ اللون مُجعّدًا، تكسو وجهَه ابتسامة تفاؤل مُقلقة طوال الوقت، كثيرًا ما يتردد على «ريان» يقصّ عليه أخبار ما حدث له في المدرسة الحكومية التي يدرس فيها..

انتبها لقدوم «قاسم»، فأوقفا اللعبة..

تساءل «ريان» بلهفة: "هل أصلحتها؟".

أومأ «قاسم» برأسه بالإيجاب ووضع الطائرة المُسيّرة على المِنضَدة ثم ضغط على زر التشغيل فانطلقت مراوحها الأربعة تدور وعلا صوتها.

تساءل «سامر» بخبث: "هل تستطيع تلك الطائرة المسيّرة بلوغ شارع صلاح الدين؟".

التفت له «قاسم» قائلًا بحزم: "لا يمكنك استخدام تلك الطائرة للتّجسّس على الناس".

«سامر»: "أنا أعلم، لن تتجسّس على أحد".

«قاسم» بصرامة: "أنا جاد، لقد حصلنا على التّرخيص الخاص بها بصعوبة لمساعدة «ريان» أن يرى الشارع وحركة الناس والسيارات، وأي شيء غير ذلك، سيكون مخالفًا للقانون".

قال «سامر»: "لا تقلق، لن نفعل شيئًا".

تدخّل «ريان» سريعًا قائلًا: "أعدك أننا لن نستخدمها في غير ما حصلنا على التّرخيص من أجله".

قام «قاسم» بالضغط على بعض الأزرار في لوحة التحكم بالطائرة المسيرة.

كانت سعادة «ريان» بالغة حين أخبره «قاسم» أنه وصّلَ بث الكاميرا الخاصة بالطائرة بعينه الصناعية.

أمسك «ريان» جهاز التحكم مبتهجًا بفرح عارم وشرع يوجه الكاميرا لجميع الاتجاهات قائلًا: "أنا أرى كل شيء".

نهض «سامر» وراقب «قاسم» حتى اطمأنّ لمغادرته الشقّة.

عاد ثم قال بشغف: "اسمها «دارين»، عيونها بنيّة وشعرها أسود يلمع في الشمس، أحبها جدًا، لم أحب غيرها".

قال «ريان» ساخرًا: "لم لا تُحدثها؟".

«سامر» بيأس: "لأنها أكبر مني سنًا، لا تعلم أنني أوجد معها في المدرسة، أو في الحياة عمومًا".

«ريان»: "لقد سمعت المهندس «قاسم»، لا أستطيع أن أخالف القانون".

التقطَ «سامر» ذراع التحكم بضيق وقال: "العب؛ سأهزمك بشدة اليوم".

***

نزل «قاسم» إلى الشارع، وجد السائق جالسًا داخل سيارة سوداء فارهة ذات زجاج معتم مضاد للرصاص.

مضى «قاسم» في طريقه للعمل، كان دائمًا ما يقارن كل يوم بين سيارته التي تقف ساعات في ذهابه وعودته وبين سيارة السيد «رمزي» التي تمر من تلك النقاط بدون أن تتوقف لحظة، أخرج من جيب مِعطفه قلمًا وورقات صغيرة كان قد ابتاعها من

أحد متاجر الأنتيكات التي تبيع الأشياء العتيقة التي توقف تصنيعها منذ زمن بعيد.. شرع بالكتابة أثناء وقوفه..

"عزيزي القارئ الفقير من المستقبل/

كذبوا عليك وأخبروك أنك تحيا برَفاهية لم يحلم بها ملوك كسرى وقيصر، حياة لم يعرفها جميع الملوك الذين حكموا الأرض أكثر من تسعة عشر قَرنًا، ولكن ما لم يخبروك به أن هؤلاء الملوك لم يَضطرّوا للعمل ثلاث أرباع الشهر وربما أكثر ليحصلوا على أموال بالكاد تكفي مأكلهم ومشربهم.

عزيزي الفقير؛ عملك من أجل مأكلك ومشربك كانوا يطلقون عليه حتى وقت قريب "عبودية"، ثم أخبرونا أن البشرية تخلّصت منها لتَستبدلها بالنظام الاستِعبادي الرأس مالي البغيض، الكثيرون يعملون لتنمية وتضخيم ثروات القليلين، هؤلاء الذين يبدّلون أطرافهم الصناعية وأعضاءهم البديلة كل سنة، يبدلونها للإصدارات الحديثة كما يبدلون سياراتهم الفارهة، يتنقلون في قطار يسمونه "الطلقة" يربط مدنهم الراقية ببعضها، قطار فائق السرعة يمكّنهم من تجنب رؤية تلك الأحياء والقرى البغيضة على جانبيه حتى أن بعضهم يُقسم أنه من الداخل معتم تمامًا بدون نوافذ حتى لا ينظر أحدهم للفقراء بغير قصد، وآخر أقسم أن ذلك القطار يتنقل مئات الكيلومترات في دقائق معدودة، أوقاتهم ثمينة، خلودهم لم يجعلهم يهملون أهميته.

بعد أن قلت ذلك، أعتذر منك عزيزي القارئ؛ لا بد أن أذهب لعملي، على الرغم من كرهي لمبدأ العمل نفسه، ولكن لديّ أفواه جائعة وقد زادوا واحدًا، «سيف»، حبه يزداد بقلبي يومًا بعد يوم، وكذلك قلقي أن يكتشف أحدهم أمره، لذا سأعمل

لوقت إضافي، الأموال لا تنمو على الشجرة، أليست تلك فكرة شيّقة لتَتخيّلها؟".

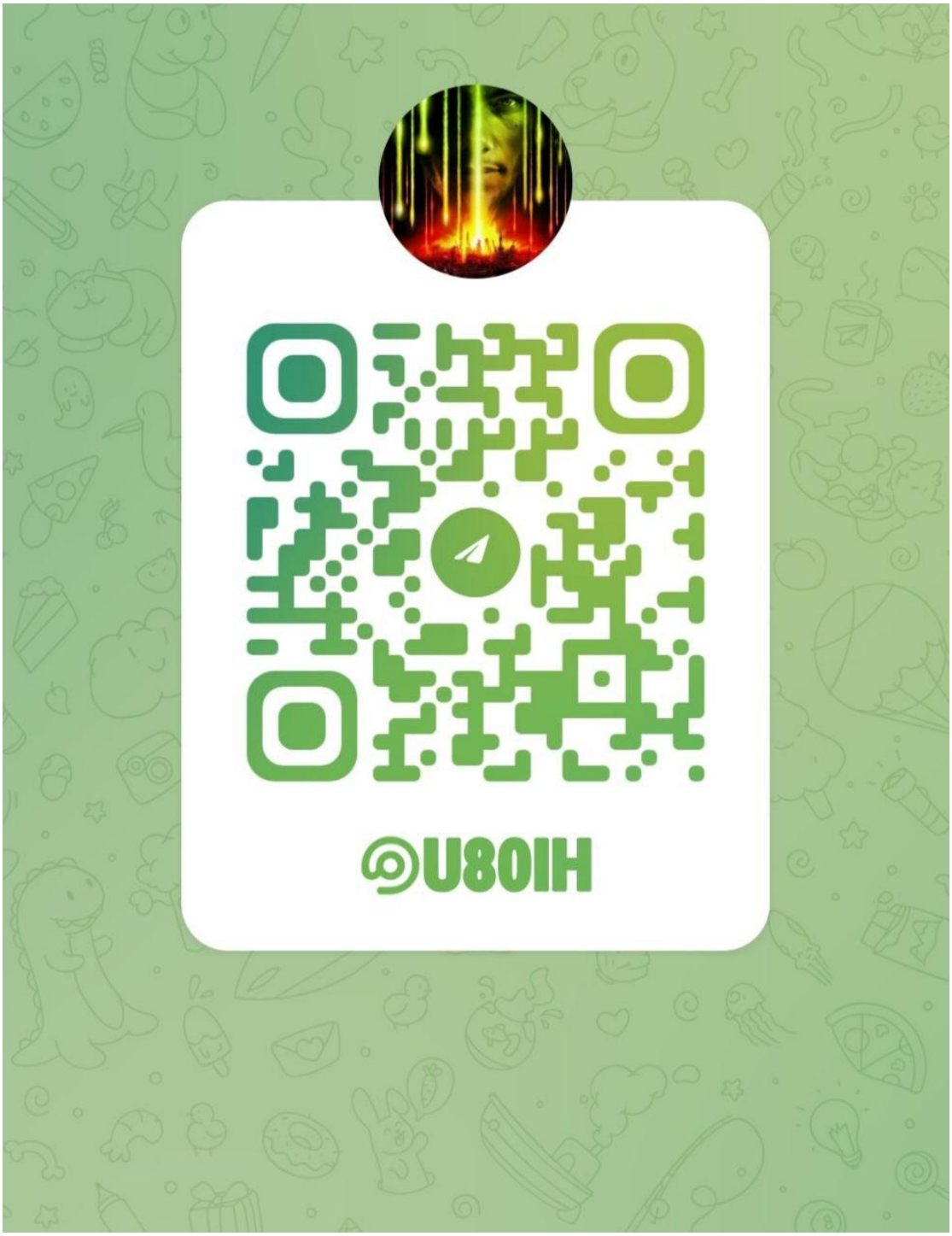

مَشروعُ العَنقاء

مدينة «جلوري»، 20 يوليو 2139

توقفت سيارة السيد «رمزي» أمام مبنى عظيم وسط المدينة، ترجّل منها بعدما سارع السائق بفتح الباب، نظر للأعلى، شاهد إحدى نواطِح السحاب التي تفتخر بها المدينة بتصميم استثنائي انسيابي على شكل أسطواني تعلوه كرة عظيمة متحركة في كل الاتجاهات، حول الكرة لافتة مضيئة تدور مع الكرة [روبوبارت المتحدة] ROBOPART UNITED وبجوار الكلمة شعار الشركة المميز كأس أزرق اللون منقوش عليه خريطة العالم وبداخله حرف R بالإنجليزية يلتف حوله حرف U

صعد به المصعد لأعلى مقرّ الشركة، قابله مساعد رئيس مجلس إدارة الشركة يرحب به بحرارة قائلًا "إنهم ينتظرون قدومك، سيدي".

دلف للغرفة، كانت تتوسطها طاولة عظيمة، خشبية سوداء إلا من بعض الزخارف البيضاء البسيطة، كان قد وصل بالفعل أعضاء مجلس الإدارة الثمانية، جلس على مقعده على الطاولة بعد أن تبادل الترحيبات مع الأعضاء، بعد هُنيهَة تطلّعت جميع الأنظار للباب حين قدم رئيس مجلس الإدارة، السيدة «أمنية العبادي»، ترتدي حلّة أنثوية بيضاء، تُبرز معالم جسدها النحيف، بشرتها قمحية اللون، شعرها ناعم أسود قاتم، تغطي عينيها الزرقاوين نظّارة شمسية، صمت الجميع بينما تسير حتى جلست على كرسيها على رأس الطاولة، بيدها بضعة أوراق وضعتها أمامها.

بدأت حديثها بهدوء: "ربما تتعجّبون عن سبب اجتماعنا في غير موعد الاجتماعات الدورية للمجلس".

قال بعض الأعضاء: "نعم". وسرَت بعض الهَمهمات، صمتَت حين أردفت السيدة «أمنية»: افترِض حدوث كارثة وتصرّف على أساسها قبل أن تجدها أمامك".

نظر الأعضاء لبعضهم البعض لا يستوعبون مرادها حتى أردفت: "من لم يتعلم من التاريـخ، فهو ملعون بتكراره، البشر لم يتعلموا شيئًا من التاريـخ، لذلك نحن ملعونون بتكراره، تعددت أشكال الحروب منذ السيوف والرماح حتى الأسلحة البيولوجية والقنبلة الذرية، حروب أهلكتنا وأهلكت الأرض، الكوكب الوحيد الذي نعرفه، الملعون بوجودنا عليه ونعتبره منزلنا على الرغم من معاملتنا الجائرة له وللمخلوقات المسالمة التي تحيا عليه، هل تعلمنا شيئًا؟ بالعكس، مكثنا قرونًا نبحث عن السلاح الأكثر فتكًا، السلاح الذي يترك خلفه الدمار الأعظم، لن يتمكن أحد من تغيير العالم ما دام هذه الطريقة التي نفكر بها، نستغلّ ما توصّل له العلم في صنع مستقبل أفضل، حل مشكلات صغيرة متتابعة لتحسين الحياة، ربما نتمكن من تغيير العالم في النهاية".

قال أحد الأعضاء بنَبرةِ صوت عدائية: "الكثير من الأموال تُهدَر على مشاريعك الوهمية بلا طائل، الموازنة الربع سنوية تذكر ضعفًا في المبيعات وزيادة في المصروفات".

السيدة «أمنية» بغضب: "أتريدون رؤية البقرة مذبوحة أم تناول الـ STEAK (شريحة اللحم)، أنا أتحدث عن مستقبل أفضل للشركة والعالم بأسره".

أجابها العضو ساخرًا: "أريد رؤيتها إن كان سيساعد في وقف نزيف الأموال، والدك لطالما حقّق لنا أرباحًا هائلة، يجب ترشيح CEO (رئيس مجلس إدارة) جديد".

لم تُجبه، حاولت كظمَ غيظها بصعوبة وتهدئة براكين الغضب التي تشتعل بداخلها، نهضت ثم سارت نحو أحد جوانب الغرفة الدائرية وضغطت على بعض الأزرار على الزجاج فُتح على إثرها بابٌ كبير لمهبط الطائرات حيث تنتظرها بالخارج طائرة خاصة تدور شفراتها العظيمة فتثير رياحًا بلغتهم حيث يجلسون ثم التفتَت: "هناك شيء أريدكم أن تَروه، حتى تعلموا إلى أين تذهب أموالكم".

هبطت الطائرة وسط الصحراء، كان الأعضاء مُتخوفين من النزول من الطائرة في ذلك المكان النائي، شعرت السيدة «أمنية» بذلك فنزلت أولًا ثم سارت نحو باب معدني مَخفيّ تحت الرمال، يحرسه من الخارج حارسان مُدجّجان بالسلاح، فتحا لها الباب.

تقدمتهم ودلفت لداخل المبنى الممتد لعشرات الأمتار تحت الأرض ولحقها باقي الأعضاء نحو مصعد نزل بهم بضع أدوار حتى توقف أخيرًا وفُتح باب المصعد تلقائيًا على غرفة كبيرة بيضاء تمامًا حوائطها وأرضها وسقفها، فارغة عدا من حوض زجاجي في منتصفها وحوله الكثير من الأجهزة التي تصدر طنينًا منتظمًا ويقف بجانبها رجل طاعن في السنّ يرتدي المِعطف الأبيض المميز للأطباء.

ذُهلوا جميعًا حين اقتربوا من الحوض الزجاجي وشاهدوا ما بداخله، جنين في طور النمو يتّصل بخرطوم سيليكوني في بطنه يشبه الحبل السري يسبح في سائل شفافٍ ثَخين.

تركتهم السيدة «أمينة» في ذهولهم يترقبون أدقّ الحركات الصغيرة التي يصدرها الجنين لبعض الوقت.

تساءل السيد «رمزي» يكسو التعجّب وجهَه: "ما الذي ننظر إليه؟".

أجابته السيدة «أمنية»: "لا يتَحتّم علينا تحمل هذه الأجساد المُنهكة أو الوصلات العصبية التي لا تتجدّد، ربما نكون تمكّنا من تأخير اضمِحلالها ولكن هذا ليس كافيًا، هناك من وُلد بدون يدين يفتقد الإحساس باللمس، مهما كان من تطوّر المُستشعرات الحسيّة للأطراف الصناعية لن تُضاهي الحقيقية، هناك من ولد بدون قدمين يتمنى أن يركض حتى تَتهتّك أحذيتُه، لم نتمكن من صنع شيء يضاهي الحقيقة، هنا يأتي دور دكتور «ديفيد فيتر»، وأشارت للرجل الذي يقف بجوار الحوض الزجاجي، كانت ملامحه أوروبية بشعر أبيض وأعين خضراء.

تحدث الدكتور «ديفيد فيتر» بلغة عربية ذات لكنة غريبة: "الجسم البشري الأكثر تعقيدًا في الكون ليس من السّهل استبدال أي عضو فيه بعضو يطابقه تمامًا، هدفنا هنا في هذه المنشأة والأبحاث التي نجريها هو الوصول للكمال، PERFECTION، صناعة العضو الأقرب للحقيقي. THE REAL DEAL

قال السيد «رمزي» مستنكرًا: "لا أعتقد أنك أتيت بأمر جديد، زراعة الأعضاء الحية متاحة للجميع، بالسعر المناسب تستطيع الحصول على كلية أو كبد أو ربما قلب حقيقي".

ابتسم الدكتور «ديفيد فيتر» ثم قال: "نحن نبحث عما هو أكثر من ذلك". ثم أشار للحوض الزجاجي: " THIS

FEATUS هذا الجنين الذي ينمو في تلك الحاضنة INCUBATORآخر ما توصّلت إليه أبحاثنا".

قال السيد «رمزي»: "هذا يعنى أنها تكلّف الكثير من المال يا دكتور".

همّ الدكتور «ديفيد فيتر» بالحديث ولكن قاطعته السيدة «أمنية»: "يُدعى مشروع العنقاء، القليلون يعلمون بشأن هذا المشروع، القليل من الأثرياء يستطيعون تحمل تكلفة خدماتنا، نهدف لأن نُخلّد العظماء، الحالمين والمفكّرين، هؤلاء الذين خسارتهم ستكون كارثة للبشرية".

تساءل أحد الأعضاء بتعجب: "ما زلت لا أفهم كيف بإمكانك تصنيع أعضاء في تلك الحاضنة؟".

أجابه الدكتور «ديفيد فيتر»: "تلك الحاضنة صُمّمت من قبل أفضلTHE BEST OF THE BEST، تُمكّننا من إنبات جسد جديد متكامل، هندسة وراثية هي الأفضل في العالم، جسد مثالي صُمّمت كلّ خلية منه بدقّة مُتناهية مُطابقة للجسد الأصلي، نستطيع التحكّم الكامل في إسراع نموه، سنين كاملة نستطيع اختصارها لشهور قليلة، نستطيع منحك أي عضو في أي عمر تريد".

بفخر قالت السيدة «أمنية»: "نحن من سنحدد مستقبل البشرية، نضع حدًا لسيطرة الجسد على مصير العقول العبقرية، ليس هناك حاجة ما ظن لتخليد اسمك عن طريق إرثك، أعمالك، وجدنا السبيل لينبوع الشباب، ما ظنّ البشر أنه خيالًا لقرون".

تساءل السيد «رمزي» بفضول: "إذا كان المشروع كما تخبرانا، لماذا لم يدخل حَيّز التنفيذ؟".

أجابه الدكتور «ديفيد فيتر»: "المعلومات الوراثية الكاملة عملة نادرة، نحن نعتمد على تحليل أنسجة قديمة قبل الفيروس، ليس بها حياة، تخيل ملايين ومليارات NUCLEOTIDESتشكل هذا شريط DNA ، به الكثير من النواقص والفراغات التي تحتاج لمَلئها، هنا تكمن المشكلة، والفراغات التي تحتاج من شريط مصاب بالفيروس، ليس لدينا طريقة المعرفة ما هو الجزء المصاب الذي قام الفيروس بالتلاعب فيه والجزء السليم، لذلك نعتمد على الحظ، الاحتمالات لا نهائية، تحتاج المعجزة".

أردفت السيد «أمنية» بعدما لاحظت ملامح خيبة الأمل قد استبدلت نظرات الانبهار التي علَت وجوههم: "المعجزات تحدث طوال الوقت، يجب أن نؤمن بذلك، التطور العلمي والتكنولوجي ما هو إلا نتاج معجزة تلو الأخرى".

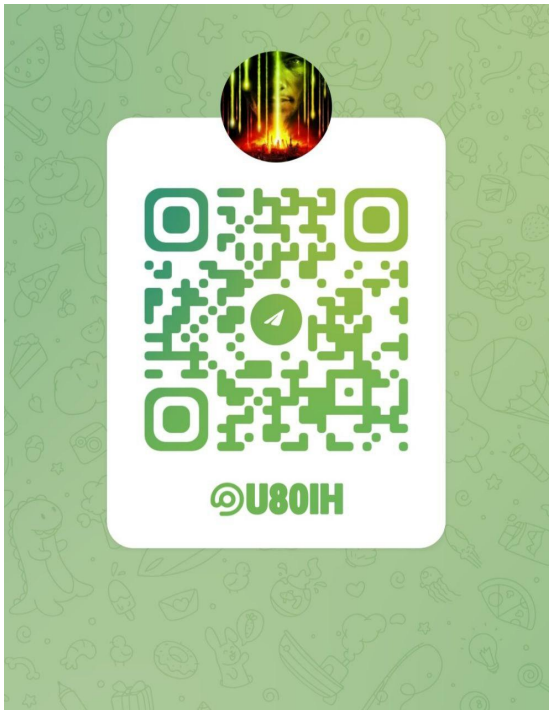

انكِشافُ السّرّ

30 نوفمبر 2141

"عزيزي القارئ من المستقبل/

لدى اعتراف أريد أن أُدلي به، لقد مزّقت العديد من الأوراق التي كتبتها خلال العام المُنصرِم، كانت الأفكار المكتوبة فيها مكررة، كان عامًا مُملًا شحّت فيه الأحداث التي تستحق إخبارك بها، توالت زيارات السيدة «كاريمان» على أوقات متباعدة، وأحيانًا تدعونا للقصر في مدينة «جلوري» حين يكون السيد «رمزي» غائبًا عنه، صراع البحث عن السعادة داخلي بين الرفاهية التي أتذوق بعضًا منها خلال رحلتي لمدينة «جلوري» ثم العودة مجددًا لشقتنا الدافئة الحميمية المتواضعة بين أحضان زوجتي وطفلي.

مصدر قلقي الأول والأعظم، الكثير من القلق، القلق أن يعلم عنه أحد، القلق أن أكون بإخفائه أحرم البشرية من مفتاح العودة للأوقات الماضية حين كان الجميع يولدون بأعضائهم كاملة".

***

توقفت السيارة الفارهة أمام منزل السيد «رمزي» وترجّلت منها «روان» تحمل الطفل «سيف» بيدها، كانت السيدة «كاريمان» بانتظارهما على أحرّ من الجمر. لقد ارتبطت جدًا بالطفل وتغلغل إلى قلبها، كان «قاسم» يعمل في ذلك الوقت وكذلك السيد «رمزي» كان منهمكًا في إدارة شركاته التي كانت تشهد أزمةً في ذلك الوقت وهبوطًا مفاجئًا في أسهُمها في البورصة.

رحّبت السيدة «كاريمان» بهما واحتضنت ابنتها «روان» ثم تناولت الرضيع بين يديها وقبّلته على وجنتَيه الناعمتين ودعتهما لدخول القصر.

بعد وقت وَجيز ذهبت «روان» تبحث عن أخيها «سيف» في غرفته وتركت الطفل مع جدته.

كانت السيدة «كاريمان» تلعب مع «سيف» تَقذفه في الهواء وتتلقّفه بيديها ترتسم الضحكات البريئة على وجهه وتعلو قَهقهاتُه الطّفولية على إثرها، تعطّلت إحدى كتفيها الصّناعيتين فجأة فانزلق وطارَ في الهواء، حاولت الإمساك بيده السليكونية ولكنها انخلعت وسقط على الأرض، لولا تلك السجادة التركية الوثيرة التي تلقت عنه السقطة القوية لتأذى كثيرًا.

نظرت السيدة «كاريمان» فوجدت يديه في مكانهما ثم عادت لتنظر لليد السليكونية التي تحملها وكررت تلك النظرات عدة مرات تحاول استيعاب ما يحدث.

قدمت «روان» مع اخيها «سيف» يضحكان بصوتٍ عال، انقطع فجأة عندما شاهدا نظرات الهول على وجه السيدة «كاريمان».

اقتربت «روان» ببطءٍ والتقطت «سيف» من الأرض الذي كان يبكي بكاءً هستيريًا ثم التفتَت لوالدتها التي لم تغادر وجهَها ملامحُ الذهول والخوف الرهيب.

تمكنت أخيرًا من تهدئة الطفل، فساد صمتٌ رهيب قطعه «سيف» بقوله: "أنا لا أفهم، لماذا تضعين له تلك اليد الزائفة؟".

اعتلى وجهَ «روان» الهلعُ الشديد، تلجّم لسانها وتوقفت الكلمات في حلقها.

قالت السيدة «كاريمان»: "ربما يفتقد لعضوٍ داخلي!".

أجابتهما «روان» أخيرًا بصوت يرتعش: "لا، لم يظهر شيءٌ في الأشعّة، كل أعضائه سليمة".

ارتسمت ملامح التعجّب على وجه «سيف»: "أنا لا أظن أن ذلك مُمكن".

هدأت السيدة «كاريمان» قليلًا، جلست على أقرب أريكة، أتاها أحد الخدم بكأسٍ من النبيذ الأحمر تناولت محتوياته كاملًا، أغمضت عينها ثم فتحتها ثانية فتغيّر لونها للّون الأسود بعد أن كانت زرقاء كالسماء تحدّق بشدّة في الطفل الذي كانت تحتضنه «روان» ثم قالت: "إن كانَ ما تقولينه صحيحًا، يجب أن نجعل العلماء يقومون بفَحصِه، ربما يكون الحلقة الناقصة، السبيل لنصبح مكتملين مجددًا، المعجزة التي تجعلنا نشعر بكل خلية في أجسادنا، ليس لديك فكرة عن ذلك الشعور، منذ ولادتي أتوقُ للشعور به".

ارتعدَت «روان» من مجرد الفكرة، اعتصرت «سيف» بين يديها ثم قالت: "ليسَ وإن كان الثمن هو ابني، لن أجعله يقضي حياته في المختبرات يتلاعب به الأطباء والعلماء بنظرياتهم وأجهزتهم".

اختِطاف

"عزيزي القارئ من المستقبل/

هناك جمال يكمن في السيطرة، السيطرة على قلم يُسطّر ما تخبره به، قلم مطيع يكتب ما أريد قوله، يسحب الأفكار التي تؤرقني والمشاعر التي تزحم قلبي ويضعها على ورقة بيضاء، وقلم خائن يكتب أفكاري الحقيقية التي أحاول بيأس دفنها بين طيات عقلي اللا واعي، كلمات أريدها ألا تتنفس فتقتل خيطًا رفيعًا يُبقي على صورتي العاقلة أمام الناس ويُجنبني الزجّ في مستشفى الأمراض العقلية.

لا يمكنك البُكاء على طَردك من جنّة لا تعلم بوجودها، تلك هي الفكرة التي هيمنَت على رأسي عندما روت لي «روان» ما حدث في قصر والدها وانكشاف سرّنا الدفين، تصارعت في عقلي أفكار ضارية وحشية، شعرت بالضيق الشديد لانغِلاق النافذة الضئيلة التي نظرت من خلالها لعالم هؤلاء الأثرياء، لماذا يزعجني ذلك؟ لماذا تلك أول ما فكرت به عند سماعي بحدوث ما خشيته منذ ولادة «سيف»؟.

عذرًا عزيزي القارئ من المستقبل، أنا مضطر لقطع حبل أفكاري هنا، قبل قليل صرخت «روان» بغضب: "عد للفراش قبل أن أحطّم تلك الأزرار اللعينة، صوتها يضرب رأسي كالمطارق".

لا تنزعج عزيزي القارئ، أنت لست السبب في حَنَقها، تخميني هو أن سبب أرقها هو عقلها الذي يرسم سيناريوهات كارثية لما يمكن أن يحدث لطفلنا الذي سيتم عامه الثالث قريبًا تحتضنه بقوة لا تريد تركه".

13 إبريل 2141

استيقظ «قاسم» في صباح أحد الأيام على صرخة هائلة لزوجته «روان»، هرول سريعًا لمصدر الصوت، دلف غرفة ابنهما «سيف» فوجدها ممسكة بأحد العوارض الخشبية للمهد وجثَت على ركبتيها، أجهشت بالبكاء المرير، سالت دموعها بغزارة بينما تصرخ: "«سيف»! أين ابني يا «قاسم»؟".

هلعَ من هَول منظرها، ظلّ يبحث كالمجنون في أرجاء الشقّة يمشّط بيأس غرفة بعد غرفة، مع كل غرفة يجدها فارغة كانت الحياة تظلم في عينيه برغم سطوع شمس ذلك الصباح، شعر بين طيات صدره أن حياته فقدت نورها وسُحبت منها السعادة ولم يتبقى إلا الهباء المنثور، زاد من حدّة التقاط أذنه الصناعية كمحاولة أخيرة يائسة لسماع طفله وقرّة عينه، نزل للشارع، ركض كالمَمسوس في الشارع يتخبّط في المارين يمينًا ويسارًا، تدور عيناه بيأس في جميع الاتجاهات يبحث بين وجوه الأطفال عن شبحِ طفله، صرخ بصوت يتقطع من الألم، رمقَه المارّون حوله بنظرة تعجب يشفقون عليه.

عاد لغرفة طفله مجددًا، جثا على الأرض بجوار «روان» واحتضن ظهرها محاولًا تهدئة مرار عويلها وتشنّج بكائها الذي لم يتوقف.

التفتت له وقالت بصوت مُتحشرِج يتقطع مع انقطاع أنفاسها: "لقد ذهب، أنا على يقين أننا فقدناه، أيقظني انقباضُ قلبي وانكِماشةٌ في صدري حين اختطفوه".

نظر «قاسم» لعينيها الدامعتين ووجهها الأحمر ثم قال بصوت حاول إخفاء حسرته في نَبرتِه: "سأجده، أعدك".

***

"عزيزي القارئ من المستقبل/

لقد اختُطف طفلي قبل أسبوع، جفّت الدموع من عيون زوجتي، تجلس طوال الوقت في غرفته أملًا في عودته السحرية، الشرطة لم تكن ذات فائدة كبيرة أو على الإطلاق، أخبرني عزيزي القارئ من المستقبل؛ كيف أستطيع طمأنتها في حين أنّ ضَواري القلق تنهش عقلي؟

لقد سمعت وقرأت عن غصّة الأب حين يفقد أحد أبنائه أو يَثكلَه، ولكن الشعور أبشع بأضعاف، أشعر بيد تنتزع قلبي من تجويف صدري وتجرّه على رمال الرّمضاء، أجثو خلفه أحاول اللّحاق به، حين تنفد طاقة روحي وأشاهد احتراق آمالي وأحلامي، حينها تعيد القلب مكانه كفَحمةٍ فقدت الحياة، فلا يتأثر بمصائب أو أفراح، لم يعد هناك ما يهم، أنت نفسك عزيزي القارئ من المستقبل لا تهم، ما يهم فقط هو البحث عن طفلي، ربما رؤية عينيه أو سماع صوته يجمِّع أشلاء قلبي ويعيد الدماء لتهرول فيه مجددًا، تعيد لروحي الحياة، هنيئًا لموت قريب، استمتع بصُعدائك طالما تستطيع تنفّسه".

***

كان جالسًا في مركز صيانته شارد الذهن، القلق على مصير طفله ينهش عقله ويتركه في تساؤل دائم عما حدث له ومن اختطفه وأين ذهب به؟

تلقى اتصالًا من «ريان» يخبره أن يمرّ عليه حين عودته لأن لديه وسيلة للوصول لمكان اختطاف طفله «سيف»، سارع

بالعودة للمنزل، دلف الغرفة «ريان» بعد عودته للعمارة، وجده حزينًا لما أحل لـ«لسيف» ابنه.

قال «قاسم» بلهفة: "كيف سنبلغ مكان اختطاف «سيف»؟".

أجابه «ريان»: "لقد كنت مستيقظًا حين جاء هؤلاء الرجال ونزلوا باستخدام أحبال من فوق سطح المنزل، تبعتُ سيارتهم السوداء بطائرتي".

«قاسم» بفضول: "أنا لا أفهم، عن أي رجال تتحدث؟".

أجابه «ريان»: "الرجال الذين اختطفوا طفلك «سيف»، راقبتهم من بعيد حتى عبروا المعبر لداخل مدينة «جلوري» ولكن انقطع الاتصال بعدها بالطائرة".

تَسلّلت بعض نسمات الأمل لـ«قاسم»، اندفع سريعًا الجهاز التحكم في الطائرة واستخرج منه ذاكرته، بلمح البصر وضعَه في حاسبه المحمول وحاول البحث عن الفيديو المسجل ليلة الاختطاف، بعد عناءٍ تمكّن من استرجاع الفيديو الذي التقطته كاميرا الطائرة المسيرة ليلة اختطاف «سيف»، تابع الفيديو بأعين تترَقرَق بالدموع..

كان الوقت بعد الفجر بقليل عندما نزل ثلاثة رجال مُلثّمين يرتدون ملابس سوداء تمامًا ويمسكون بمسدسات في أيديهم، يكسرون زجاج نافذة غرفة «سيف»، انسابت الدموع من مُقلتي «قاسم» رغمًا عنه حين شاهدهم يتسلّقون على الحبال مجددًا للسطح يحمل أحدهم «سيف» التقطه من مَهدِه ثم نزلوا من سلّم العمارة دون أن يلمحَهم أحد في ذلك الوقت الباكر، تتبّعتهم الطائرة المسيرة حتى تخطّت سيارتهم نقاط التفتيش بسهولة شديدة دون أن يتعرض لهم أي من الشرطة أو يتكبّد

عناء تفتيش سيارتهم، تتبعتهم الطائرة المسيرة حتى دلفوا لداخل مدينة «جلوري» والتقطتها رادارات المدينة ودمرتها في الهواء قبل أن يعلم أين يحَتجزون طفله.

قذف «قاسم» جهاز التحكم على الأرض بغضب شديد فتهشّم لقطعتين كبيرتين ومئات القطع الصغيرة.

بدون أن ينطق ببنتِ شفة أغلق حاسبه ونزل من العمارة دون ان يصعد لشقّته، ركب سيارته وهاتف زوجته «روان» قائلًا: "ربما لدي طريقة أستطيع بها معرفة أين ذهب «سيف»".

«روان» بلهفة: "أين؟".

أجابها «قاسم»: "أريدك أن تخبري أمك أنني أريد ترخيصًا يمكّنني من دخول مدينة «جلوري»". ثم أغلق المحادثة وقاد سيارته تجاه الجنوب.

أوقفه أحد الضباط عند إحدى نقاط التفتيش ليتقصّى أمره بجهاز خاص يمرر عليه سوار إلكتروني يلبسه كل المواطنين ترصد المعلومات الكاملة للشخص من الاسم والعمر والوظائف التي شغلها والجسدية والأمراض السابقة والأعضاء الاصطناعية البديلة وخطوط السير المُصرّح له السير فيها، أوقفه الضابط قليلًا حتى يستخرج ترخيصًا للسير في اتجاه معاكس لخط سيره الطبيعي..

***

التقط أوراقه وقلمه.

"عزيزي القارئ من المستقبل/

لقد وجدت بداية خيط، بداية خيط لإيجاد هؤلاء الأوغاد الذين اختطَفوا طفلي الذي لم يتم أربع سنين من عمره، أيّ قلبٍ من حجر يختطف طفلًا عمره أربع سنين، ماذا سيحقق من وراء ذلك؟ لن يطلب قدية بالتأكيد، أنا لا أملك شيئًا لأعطيه، ربما والد زوجتي.

أنظر حولي في الأفق البعيد للبيوت المتهالكة التي تَختبئ خلف أسوار، الكثير من الأسوار، تفصل بين المدن الراقية والمقاطعات خارجها يفصلون بينها بأسوار عالية ليسهل السيطرة على ساكنيها من الغَوغاء، يفصلون حتى بين المقاطعات المكتظّة بالسكان وبعضها، منحوها أرقامًا بداية من واحد حتى العشرة، واحد الأقرب لهم والعشرة الأبعد، واحد حيث أقطن أنا ويقطن الكثير من الأطباء والمهندسين، ويقل المستوى الاجتماعي بزيادة رقم المقاطعة، حتى تصل للمقاطعة السادسة حيث ينتشر الجهل والغوغائية ويقل صوت العقل حتى يكاد يختفي تمامًا.

نحن لا نختبر الحياة بقدر مُتساوٍ، من ولدوا داخل أسوار مدنهم الراقية الحصينة ليس كمن ولدوا خارجها، ولكن تبقى أقسى ظروف العيش يحياها معظم الشعب فبعضهم يعيش في خيام كاللاجئين يقتاتون على الفتات وما تتمكن عصاباتهم من إيقاف السيارات على الطرق وتجريدهم من كل ما له قيمة معهم، بُؤر للفقر والقهر، قوات الأمن تخشى السيطرة عليهم، أو ببساطة، الأمر لا يعنيها، ليست هناك مصلحة حتمية لهم في نشر الأمن والأمان بتلك المناطق، فالبعد عنها نفع للطرفين، بين الحين والآخر تلتهب ثورتهم ويحاولون تجاوز بعض نقاط التفتيش أو اختراق أسوار المقاطعات، هنا تُكشّر القوات عن أنيابها،

يقتلونهم بلا رحمة، يرمون عليهم القنابل والمتفجرات فيموت العشرات في لحظة، فأدركوا أن لهم خط يعيشون من خلاله لا يَحيدون عنه في صفقة مع قوات الأمن غير مَنطوقة، سنترككم تأكلون بعضكم البعض بشرط أن تلتزموا بمناطقكم، مناطق الفقر والفساد، سياسات تُهمشّهم لسنين طويلة دفعتهم إلى حافة اليأس، يقتل القوي الضعيفَ في سبيل بضع جنيهات لا تكفي لإشباعه يومًا واحدًا، يقتل الرجل المرأة من أجل أي سبب تافه، فقط لأنه يستطيع الغيرة أصبحت مميتة بالفعل، القلق مرضي، انتهى بحثهم عن قيمتهم مع الإحساس بالجوع، ساد وحلّ محله البحث عن الغرائز الحيوانية، مع انحدار المجتمع يزيد ابتعاد القوات الأمنية عنهم حتى طوقوهم في مجتمعات مغلقة لحماية الأثرياء منهم، ولحمايتهم من أنفسهم".

***

لم يمر وقت طويل قبل أن يصل المقاطعة السادسة، مضى قليلًا بسيارته التي تجمع حولها الكثير من الشحاذين والمجاذيب الذين يفترشون الشوارع ويتخذونها بيوتًا لهم، رأى منعكسًا على وجوههم ملامحَ الفقر المُدقع وشظفَ العيش، أجسادهم قد هزلت وجلودهم تشقّقت لنُدرة المياه التي تنساب عليها، يتعاطى أكثرهم صنفًا من المخدرات يدعى اليرقات، عبارة عن بلورات أرجوانية كبلورات السكر توضع تحت اللسان، سُمي يرقات لأنه مُتعاطيه يتخيّل نفسه كفراشة أو ربما يرى حوله فراشات تطير، الاستخدام المتكرر لليرقات يظهر خطوطًا من الدماء سوداء تنبثق من العينين، شفاهه تتحول للون الأسود، يتيبّس الجلد، صنعوا نوعًا جديدًا من هذا المخدر كشفط من بخاخ الربو.

***

بلغ أخيرًا مبنى قديمًا مُتهالكًا عليه لوحة كبيرة من الخارج مكتوب عليها (شركة/ علي العفراوي للاستيراد والتصدير) مدخلُه مزدحم يَرتاده الكثير من الناس.

دلف للمحل وظلّ يبحث في وجوه الشباب البائعين حتى وجد ضالّته، اقترب من شاب في آخر المتجر يدعى «شاكر»، في بداية عقده الرابع من العمر، نحيف، يبدو على وجهه ضعف التغذية، شعره أشعث، طويل، لِحيته طالتها بعض الشعيرات البيضاء، كئيب الوجه، يتحدث بسرعة ولَباقة مع الزبائن ويحاول إقناعهم بشراء منتجاته.

شاهد «قاسم» قادمًا من بعيد فترك من كان يتحدث إليه وقدم سريعًا، احتضنه قائلًا بابتسامة: "لم أرك منذ أيام الكلية، ما الذي أتى بك لهذه المقاطعة سيئة السمعة؟".

أجابه «قاسم» بأسى: "أرى أنك لم تتغير منذ آخر مرة رأيتك فيها".

«شاكر»: "الحياة لم تتغير، ما زال العالم تحكمه القوة الغاشمة، ما الذي سيدفعني للتغيير".

«قاسم» بوجه صارم: "أريد مساعدتك".

ارتسمت علامات القلق على وجه «شاكر»، وقف صامتًا ينتظر.

أردف «قاسم»: "أريد أن أستخرج الصور من هذه الذاكرة حتى أعلم أين سقطت". ثم أعطاه الذاكرة.

«شاكر»: "هذا أمر يمكن تدبّره".

«قاسم» بصرامة تلمع في عينيه نظرة حادة: "أيضًا، أريد مسدسًا".

«شاكر» مصدومًا: "هل أخبروك أني تاجر سلاح؟".

لم ينتظر «شاكر» رد «قاسم»، لاحظ مراقبة مشرفة المتجر مُكفهرّة الوجه ترمُقه بنظرات حادة لتأخره في التعامل مع «قاسم» دون أن يبيعه شيئًا بينما ينتظر في الصف خلفه الكثير من العملاء، صاح بصوت عالٍ لتَسمعَه المشرفة: "لدينا العديد من الآذان الصناعية لم تعد «روبوبارت» تنتجها في الوقت الحالي، إن كنت تُبغض ملمس المعدن البارد لدينا أعضاء خنازير فلتختر ما شئت". ثم همس: "هذا أمر يصعب الحصول عليه، ماذا حدث؟".

«قاسم» بأسى يمتزج بالغضب: "أنا يائس، لقد اختُطفَ ابني، لا أعلم أين أجده أو كيف أستطيع الوصول إليه".

صمت «شاكر» قليلًا ثم قال: "دعني أتدبر أمري، يجب أن تشتري شيئًا حتى لا توبّخني تلك العاهرة".

«قاسم»: "هل لديك طائرات مسيرة؟".

«شاكر»: "نعم لدي DRONE لا تراها الردارات".

«قاسم»: "لا يجب أن تُفرط في المديح، سأشتريها".

«شاكر»: "إنها بالفعل لا تراها الردارات الحديثة، صُنعت منذ زمن بعيد، هذه التكنولوجيا لا يتم تصنيعها حاليًا".

«قاسم»: "حسنًا، هل تحتوي على كاميرا؟".

«شاكر»: "سوف أدمج كاميرا شديدة الدقة معها، لأجل الأيام الخوالي".

انتظر «قاسم» في سيارته لساعات قبل أن ينهي «شاكر» عمله ويخرج له، جلس بجواره في السيارة ثم أعطاه الذاكرة قائلًا: "لقد تدمرت الطائرة عندما عبرت المجال الجوي لمدينة «جلوري»".

نقشَ اليأس خطوطَه على ملامح «قاسم» قبل أن يكمل «شاكر» حديثه: "ولكنني تمكنت من معرفة المكان الذى ذهبت إليه السيارة التي كانت تتعقّبها الطائرة".

ثم اقترب منه بسواره لينقل الموقع لسوار «قاسم»، ظهر الموقع أمام «قاسم» كهولوجرام لمبنى قديم أحمر بالكامل، بحث قليلًا فوجد أنه تابعٌ لشركة «روبوبارت»، ظلّ صامتًا واجمًا لفترة طويلة يحاول استيعاب ما توصل إليه للتو.

انطلق «شاكر» بالسيارة لبعض الوقت ثم توقف أخيرًا عند أحد البيوت الجانبية ونزل ثم دلف داخله.

لم يطل انتظار «قاسم» قبل أن يعود شاكر ومعه المسدس وانطلقا مجددًا.

تساءل «شاكر» في طريق عودتهما بقلق: "هل أنت بخير؟ هناك خطب ما مجهول بشأنك منذ أن رأيت ذلك المبنى".

أجابه «قاسم»: "والد زوجتي يمتلك جزءًا كبيرًا من حِصص تلك الشركة، ليس لدي طريقة لأخبر زوجتي بهذا الخبر".

«شاكر»: "ليس هناك دليل أن له علاقة باختطاف طفلك".

«قاسم» واجمًا: "وليس هناك ما يُثبت عكس ذلك، هناك شيء لم أخبرك به، طفلي ولد بكامل أعضائه الداخلية والخارجية، والدة زوجتي علمت بهذا الأمر منذ شهور قليلة، لا يحتاج الأمر لمحقّق لربط الخيوط ببعضها".

فكّك «شاكر» المسدس لأجزاء صغيرة وخبّأها جيدًا في أماكن متفرقة في السيارة حتى لا يتمكن ضباط نقاط التفتيش من رصدها ثم ترجّل من السيارة، انطلق بعدها «قاسم» مغادرًا المقاطعة، توقف في منتصف الطريق لمنزله، قام بتجميع المسدس، اشتعلت برأسه ذكرى قديمة، حين كان طفلًا في الثانية عشرة اعتدى أحد الرجال على منزلهم في غياب والده وكبّل أمه في الكرسي، جعل يضع في حَقيبتِه الأشياء ذات القيمة التي يجدها، خرج «قاسم» من مَخبئه وتوجه نحو غرفة والده ووالدته، أخرج المسدس الذي يُخبّئه والده تحت السرير ثم تَسلّل بهدوء وأطلق النار على الرجل المعتدي فسقط قتيلًا، رمى المسدس من يده ثم ذهب وحرّر والدته التي احتضنتْه تتساقط دموعهما سويًا، أعاد قطع المسدس لمَخبئها بعد تفكيكه مجددًا.

بلغ أخيرًا منزله بعد منتصف الليل، وجد زوجته «روان» تنتظره في غرفة المعيشة تبدو ملامح القلق الشديد على وجهها.

تساءلت بهلع: "أين كنت؟ ما سبب تأخرك خارج المنزل؟ أرهقني القلق أن يكون أصابك مكروه".

اخرج من حقيبته الصغيرة المسدس ثم قال: "لقد علمت أين يوجد طفلنا «سيف»".

فزعت «روان» حين رأت المسدس بيده ولكن قلقها على طفلها كان أعظم فتساءلت بفضول يمتزج بالقلق الرهيب: "أين؟ ماذا ستفعل بهذا السلاح؟".

أجابها: "لقد تعقب «ريان» السيارة التي قادها مُختطفوه لوسط مدينة «جلوري»".

تركها في هلعها وحيرتها ثم دلف لغرفته وجلس على مكتبه يداعب آلتَه الكاتبة..

"التاريخ عزيزي القارئ من المستقبل كالعاهرة، ربما تُضاجعها حتى تخرج عينيها من مُقلتيها وتنساك فور أن تُعطيها نقودك، وربما تعطيها الكثير من النقود فتنشر عنك في كل مكان أنها كانت مع فحل عنتيل قسمها نصفين، التاريخ ينسى أو يتناسى الفقراء والضعفاء، الحروب الأولى والثانية وما بعدها بالرغم من فظاعتها ولكنها كانت سببًا رئيسيًا في تطور معرفتنا بأجسادنا وقفزت بالعلوم والتكنولوجيا قفزة هائلة قامت على أكتافها حضارتنا حتى اليوم.

التاريخ لا يذكر هؤلاء الذين ضحّوا بأجسادهم وأرواحهم تحت أيدي العلماء والأطباء الذين تخلوا عن إنسانيتهم للحظة وَجيزة في عمر الزمن، فقط يتذكر الإنجازات التي حدثت جرّاء تلك الدماء.

كيف يهدأ ذلك الألم، ألم الاشتياق لابتسامته البريئة، لأصابعه الدقيقة، لوجهه الملائكي حين يغلبه النوم.

يكاد قلبي ينخلع من مكانه حين أتخيّل نوع الاختبارات التي يُخضعونه لها".

***

استيقظ «قاسم» في الصباح ينوي الذهاب المدينة «جلوري»، كانت «روان» تنتظر استيقاظه بقلق شديد في غرفة المعيشة، لازمها القلق منذ الليلة المشئومة، اسودّت عيناها من الحزن، نظرت بهلع للمسدس الذي يخبئه بين ملابسه ثم صاحت

ترتسم ملامح الذّعر على وجهها: "أين ستذهب؟ سوف يقتلوك".

أجابها بأسى يمتزج باليأس: "لن أتخلى عنه حتى لو كلّفني ذلك حياتي". وأردف: "هل تحدثتِ لوالدتك؟".

أجابته: "نعم، هناك تصريح ينتظرك عند بوابة المدينة".

احتضنها سريعًا وطبع قبلة على خدها ثم مضى تلاحقه عيناها المليئة بالدموع، تعلم في قرارة نفسها أنها ربما لن تراه ثانيةً.

عرجَ سريعًا على غرفة «ريان» يعطيه الطائرة المسيرة التي ابتاعها من «شاكر».

حين رآه «ريان» نهض سريعًا ثم تساءل بلهفة وفضول شديد: "هل وجدت «سيف»؟ هل توصلت لأين ذهبت الطائرة؟".

لم يُجبه «قاسم»، فتح الصندوق وأخرج الطائرة المسيرة منه وقام بتشغيلها قائلًا: "لا أستطيع توصيلها بعينك الصناعية هذه تكنولوجيا قديمة".

تساءل «ريان»: "إذن لا تستطيع الرادارات التِقاطها!".

التفت «قاسم» وقال بحزم: "لا تحاول تعريض نفسك للخطر مجددًا".

أومأ «ريان» برأسه موافقًا.

زاد «قاسم» من حدّته: "أنا جاد". ثم تركه ومضى.

انطلق بسيارته بعدما فكّكَ مسدسه وخبّأه مجددًا، يعلم أن التفتيش عند المعبر الرئيسي لمدينة «جلوري» سيكون أكثر صرامة من نقاط يعثر عليه أحدهم. التفتيش العادية فبذل

مجهودًا أكبر في تخبئتها داخل الكراسي الجلدية لئلا يعثر عليه أحدهم.

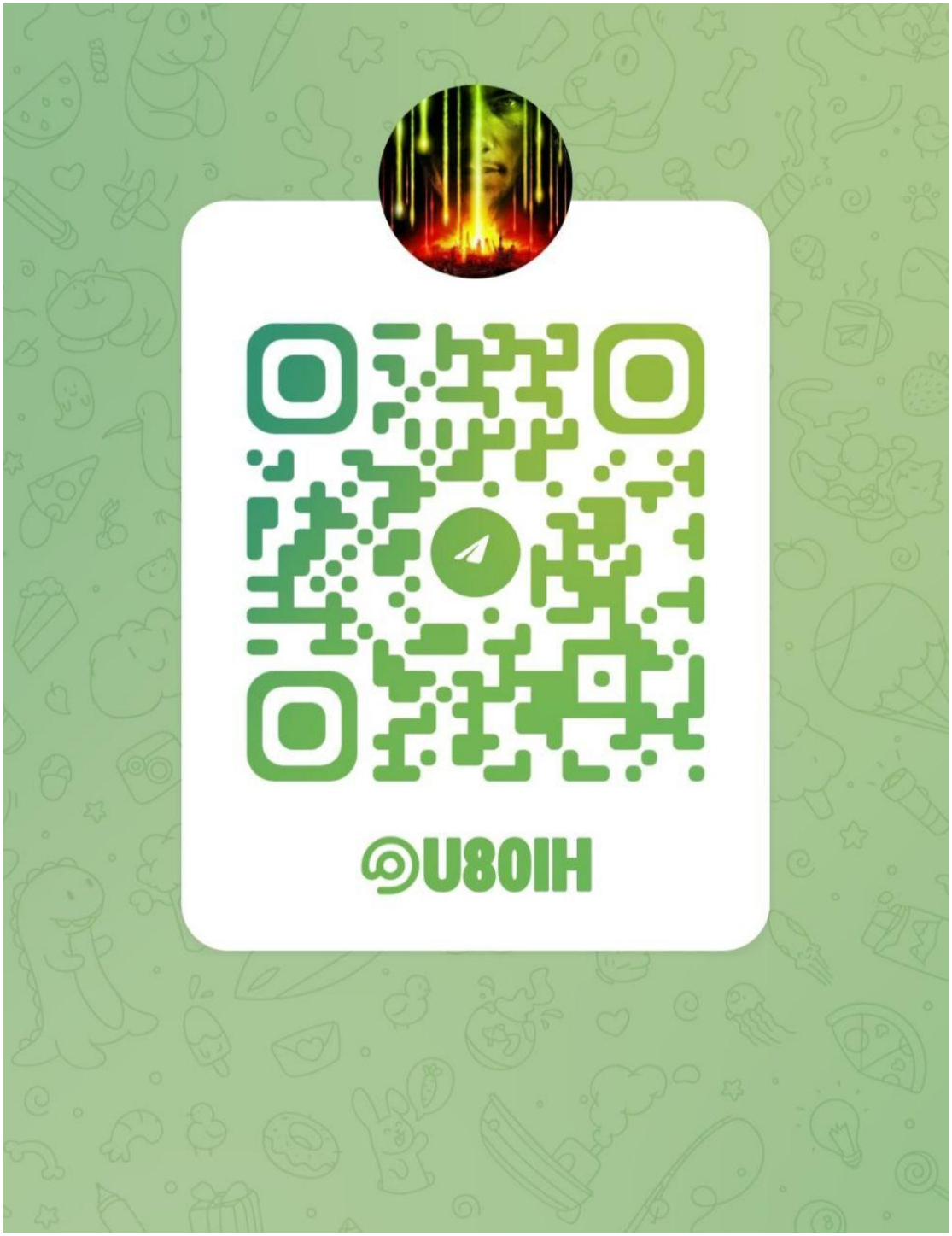

المَبنى الأحمَر

كان «ريان» يتتبّعه من بعيد بطائرته المسيرة حتى بلغ معبر المدينة، شاهد سيارة «قاسم» تُفتّش ويُسمَح له بالدخول بعد عناء، قاد الطائرة فوق سور المدينة، تنفس الصعداء عندما لم تنفجر في الهواء ولم تلتقطها أجهزة الرادارات، تتبع «قاسم» بينما يقود سيارته ثم توقفت بالقرب من مبنى أحمر عظيم قديم نسبيًا بالمقارنة بالمباني العملاقة الفارهة التي تجاوره.

انتظر «قاسم» أن يترجل من سيارته حتى المساء ولكن لم يحدث شيء، حاول الالتفاف بسيارته حول المبنى لرصد أي نشاط غريب ربما «قاسم» يكون بحاجة للمعرفة بشأنه، ولكن كل محاولاته باءت بالفشل، المبنى مغلق تمامًا، يكاد يكون بدون نوافذ وحتى إن وجدت تكون مُغطّاة بطبقة سميكة تمنع الرؤية عبر زجاجها.

مكث يحوم بطائرته حتى منتصف الليل حول المكان ويراقب ما يفعل «قاسم» داخل سيارته، كان يتحرك كل فترة ويبتعد عن المبنى ثم يعود مجددًا، خّمن «ريان» أنه يفعل ذلك لئلا يثير الشكوك حوله.

مكث يراقب «قاسم» في سيارته طوال الليل الذي اختبأ في شارع جانبي حتى يراقب المبنى دون أن يلتفت إليه أحد.

غلب النوم «ريان» واستيقظ في الصباح فوجد أن «قاسم» قد تحرك بسيارته، بحث قليلًا بلا جدوى، لازم المبنى أملًا في عودته.

قاد «قاسم» سيارته لقلب المدينة واشترى إفطارًا من أحد المطاعم الفارهة باهظة الثمن قليلة الطعام.

جلس على إحدى الطاولات يمضغ مَخبوزاتهم الهشّة ويحتسى القهوة برائحتها العطرية الذكية، يشعر بتأثيرها يتغلغل داخل عقله يُنبّه خلاياه التي تتوق للراحة والسُّبات، يتأمل حوله الرجال والنساء الذين يرتدون بذلاتهم النظيفة ويستعدون للذهاب لشركاتهم العملاقة لقضاء يوم عملهم الذي يتقاضون عليه مقدار ما يتحصّل عليه في شهور.

أمسك بورقته وقلمه..

"عزيزي القارئ من المستقبل/

هناك طبقات للمجتمع، الفقراء وقد أخبرتك معاناتهم، الأثرياء وقد أخبرتك عن رفاهيتهم، ولكن أيضًا توجد طبقة أحب أن أسميها المنتفعين، فهؤلاء كانوا يومًا من الفقراء فطوروا كثيرًا من قدرات مدح الأغنياء وذوي السلطة، فهم لا يتمتعون بما يتمتع به الأثرياء تمتعًا كاملًا، أيضًا حالهم أفضل من الفقراء بكثير، وهنا تكمن الكارثة، فهم يخبرون الفقراء أن الثراء ليس بالجودة التي يخبروكم عنها، يحبون ألا تتّسع رقعة طبقتهم حتى لا ينافسهم الكثير على الفُتات والامتيازات التي يرميها لهم الأثرياء وذوو السلطة".

وقعت عيناه على طفل في سن قريب من طفله «سيف»، دمعت عيناه رغمًا عنه بعبرة مسحها بمنديلهِ سريعًا وعاود الكتابة..

"عزيزي القارئ من المستقبل/

تضع الحياة في طريقنا أحيانًا المصائب والعقبات، ألمها لا يحتمل، سيكون من السهل الخضوع لسطوتها، ستجد بداخلك

رغبة عارمة للاستسلام، ولكن أحيانًا الألم هو ما يحركنا، ما يعطينا سببًا للمُضي، الطّرقُ القويّ يصقل أعظم السيوف".

ترك من يده فنجان القهوة وبجانبه بعض النقود ثم توجه نحو سيارته عاقدًا العزم على اقتحام ذلك المبنى والبحث عن طفله.

حين بلغ الشارع المؤدي للمبنى لمحَ سيارة سوداء متوقفة أمامه نزل منها بضعة رجال يرتدون بذلات ونظارات سوداء، يتقدمهم «الذئب» يتلفت حوله يمينًا ويسارًا قبل دخول المبنى، راقبهم حتى دلفوا من الباب الرئيسي.

مضى «الذئب» وبجواره اثنان من رجاله لداخل المَبنى، ثم صعدوا للدور الرابع، بعدما فتح باب المصعد ظهرت أمامهم رَدهَة طويلة يسير بها العديد من الأطباء والممرضات، مضوا في الرَّدهَة يمرون بجانب بضعٍ من غرف الجراحة شديدة التعقيم حتى بلغوا غرفة بآخر الرّدهَة بابها أبيض، دلفوا لداخلها، كان بداخلها الدكتور «ديفيد فيتر» يقف بجوار «سيف» المُستلقي على الفراش الطبي الفاقد الوعي.

توقف دكتور «ديفيد فيتر» عما يفعله حين رأى «الذئب» قادمًا ثم قال له: "مرحبًا، لم يخبرني أحد بقدومك اليوم".

وقف «الذئب» يتأمل الغرفة بأجهزتها العديدة الدقيقة والبيانات التي تصدر أصوات طنينٍ منتظم ثم تتبّع أسلاكها وصولًا لكل جزء من جسد «سيف» العاري تمامًا عدا من ملابس داخلية تغطي خصرَه.

تساءل «الذئب» في فضول: "ما المميز في هذا الطفل؟ لقد مر علينا الكثير من الأطفال أفضل صحّة منه؟ "

أجابه دكتور «ديفيد فيتر» بصوت يرتعش يحاول التفكير في كل كلمة جيدًا قبل النطق بها، لقد سمع أساطير عن قسوة «الذئب» وما يفعله بأصدقائه قبل أعدائه: "الأمل". ثم نظر لـ«سيف» بحماس وأردف: "هذا الطفل هو إجابة جميع تساؤلاتنا، الأمل في تحقيق ما ظننا أنه أمر مستحيل، الكمال البشري الذي (PERFECTION OF HUMANKIND) قضى عليه الفيروس منذ عقود".

تركه غير مقتنعٍ بما يحلم لفعله وذهب لغرفة الأمن للاطمئنان على الوضع الأمني للمستشفى السرّي، حين بلغ غرفة التحكم وجد أحد رجال الأمن جالسًا ثم انتبه ونهض بسرعة خاطفة حين لمح «الذئب» قادمًا، تأمل الغرفة بنظرات هيمنة على المكان، كان معلقًا على الحائط العديد من شاشات تعرض بث الكاميرات خارج وداخل المبنى، حتى داخل غرف العمليات نفسها، تلك الغرف التي تجري فيها العمليات التي لا يريدون إضافتها للأوراق الرسمية لأهمية المتلقين للأعضاء والذين يشترون خصوصيتهم وسريتهم بالكثير من الأموال أو عندما لا تريد الشركة ذِكر المصدر الذي جلبوا الأعضاء منه والذي غالبًا ما يكون أعضاء هؤلاء الفقراء أطفالًا أو كبارًا.

بقلق تحدث رجل الأمن: "هناك أمر ربما تود معرفته".

التفت له «الذئب» ورمقَه بنظرة حادة ليحثّه على إكمال حديثه.

أردف رجل الأمن: "هناك طائرة مسيرة كانت تتعقبنا منذ أن خرجنا من العمارة، تحطّمت قبل دخول المدينة".

ارتسم القلق على وجه «الذئب» ثم تساءل: "هل علموا موقع هذا المبنى؟".

أجابه رجل الأمن: "أنا لا أعتقد ذلك".

تغيرت ملامح «الذئب» وصرخ بغضب: "أنا لا أدفع لك لتُفكّر، لن أغامر بناء على اعتقادك".

ثم التفت لأحد رجاله ويدعى «جابر»: "أخبر الطبيب أن يجمع أشياءه، سوف نذهب بعيدًا ع هنا".

أجاب الدكتور «ديفيد فيتر» عندما أبلغه «حازم» رسالة «الذئب»: "الكثير على المحك، لا يمكننا المغادرة الآن وسط الأبحاث والتجارب التي نجريها هنا".

«جابر» متهكّمًا: "لا أعتقد أنه يأبَه بذلك".

الدكتور «ديفيد فيتر»: "لا أستطيع الانتقال فجأة، لم أتمكن من إنهاء الكثير من الفحوصات والأبحاث المهمة".

«جابر» بصرامة: "نحن لا نهتم المكان قد يكون كُشِف".

على مَضضٍ وافق الدكتور «ديفيد فيتر» قائلًا: "ربما ذلك للأفضل، الأجهزة هناك أكثر دقة على أيّة حال". وأمر الأطباء والممرضات بالتجهيز للرحيل.

صاح «الذئب» بغضب في رجاله: "أريد" مضاعفة عدد الحراس، وابحث عن طائرة مسيرة تراقب المبنى، لدي حدس أنه لم ييأس بعد".

في السيارة استجمع «قاسم» شجاعته وفتح الباب، نظر لهاتفه الذي ظهر منه إشعار بعديد الرسائل التي بلغته، لم يشأ أن يراها ويجيبها حتى لا تثنيه عن ملاحقة طفله.

صَدمَة

أغلقت «روان» اتصالها بـ «قاسم» ثم قذفت الهاتف في غضب، كان يقتلها القلق والخوف أن يكون قد أصابه مكروه، تذكرت تلك الطائرة المسيرة القديمة التي كانت بحَوزته في آخر مرة رأته فيها، نزلت سريعًا عبر السلم تكاد تتعثر مع كل درجة تخطوها حتى وقفت أمام منزل الدكتور «علاء» وظلت تطرق الباب بعنف، ما إن فتحت السيدة «أميرة» حتى اندفعت نحو غرفة «ريان».

تساءلت بلهفة: "هل تعلم أين ذهب؟ هل تعلم ما حدث له؟".

انتبه إليها «ريان» الذي كان منهمكًا في البحث عن سيارة «قاسم» في محيط المبنى ثم قال: "أنا أتابعه بطائرتي المسيرة منذ أن انطلق بالأمس، ولكن فقدته منذ الصباح".

التفتت روان» للشاشة التي تعرض بث الطائرة المسيرة ثم تساءلت بعد أن هدأ روعها قليلًا: "أين هذا المكان؟".

«ريان»: "في وسط مدينة «جلوري»".

تأملت «روان» المبنى قليلًا ثم قالت: "هل تستطيع الاقتراب من المبنى حتى نرى ما بداخله؟".

«ريان» بقلق: "أخشى أن يرى أحد الطائرة فيُسقطها".

«روان»: "هل يمكنك تكبير الصورة؟".

حاول «ريان» تكبير الصورة بقدر ما يستطيع، ظهر المبنى واضحًا امام «روان»، تعرّفت عليه، لقد كان والدها كثيرًا ما يصطحبها للطابق الأخير حين تريد تعديل أو إصلاح معدتها أو قدميها الصناعيتين، نخرت عديد التساؤلات في عقلها في تلك

اللحظة، لم تَقوَ قدماها على حملها، جلست على أقرب كرسي وجدته، ما علاقة ذلك المبنى بـ«قاسم»؟ لم يحاول الاقتراب منه؟ هذا المبنى يتبع شركة «روبوبارت»، هل يعقل أنهم هم من اختطفوا طفلها؟ هل بإمكان والدها فعل ذلك؟ مهما كانت الخصومة بينهما لن يضحي بحفيده بهذه الطريقة؟ هل أَعمَته أحلامُ الخلود؟ تذكرت حديث والدتها حين علمت بشأن «سيف»، نخر الشك داخلها يكاد يذهب بعقلها.

صرخت في «ريان»: "يجب أن أرى ماذا يحدث بداخل ذلك المبنى اللعين، اقترب منه".

انتابَ «ريان» الذُّعر من نظرات عيونها التي تلمع بالغضب تشعر بالخيانة من هؤلاء الذين تعدهم عائلتها، اقترب بطائرته من المبنى يحوم حوله عله يجد شيئًا يهدّئ قليلًا من حِمم غضبها المُتصاعدة.

أمسك «الذئب» جهازًا زجاجيًا بحجم عشر إنشات يعرض بث الكاميرات يقلبها بيده كاميرا تلوَ الأخرى حتى لاحظ جسمًا غريبًا يحومُ على ارتفاع قريب من المبنى، قام بتقريب مدى التصوير فظهرت أمامه طائرة «ريان» المسيرة.

صعد لآخر طابق بالمبنى ثم أطلق طائرة مسيرة وانقض على طائرة «ريان» أسقطها أرضا وأفقده التحكّم.

أمسك بالطائرة وتعجب من قدم طرازها، نظر لعدسة كاميرتها ثم صاح بغضب زادت من حدّته الرياح التي كانت على أشدها في ذلك الوقت: "لا يمكنك الاختباء، سأجدك أينما كنت، سأقتلك أيها الوغد".

ثم عطّل الطائرة وكسر كاميرتها، تأملها قليلًا، لقد رأى طائرات مثلها من قبل، في المقاطعة السادسة التي ولد وعاش فيها حتى أصبح رجلًا واشتد عوده، تذكر تلك الأيام الصعبة، تذكر كل هؤلاء الذين قتلهم بدم بارد حتى يمكنه النجاة في ذلك المكان القاسي حتى وجدته السيدة «أمنية» وجعلته حارسًا شخصيًا لها ثم سرعان ما وثقت به وجعلته قائد القوات الأمنية لأحد أقوى شركات زراعة الأعضاء في العالم.

سحبَه من غرقِه في ذكريات طفولته وشبابه أحد رجاله يقول: "سيدي، هناك سيارة تراقب المبنى منذ الأمس، تذهب لبعض الوقت ثم تعود مجددًا، قمنا بالبحث عن رقمها، عثرنا على اسم مالكها، «قاسم عبد السلام»، ماذا نفعل معه؟".

أمسك «الذئب» هاتفه الذي يحمله وموجود عليه صورة «قاسم»، ثم أمره بالانصراف.

أمسك بهاتف أقمار صناعية لا يمكن تعقبه ثم ضغط على بعض الأرقام وانتظر قليلًا.

تحدث «الذئب»: "هناك أمر طرأ، والد الطفل تعقب مكانه حتى وصل لهنا، ماذا نفعل معه؟". ثم أردف بعد أن أجابه مُحدّثه لبعض الوقت: "حسنًا سيدتي".

عندما نزل مجددًا وجدهم قد أتمّوا التجهيزات للرحيل، وضع «سيف» فاقد الوعي في صندوق مُعتم متّصل ببعض الأسلاك وحملوه السيارة تشبه سيارة الإسعاف موجودة في قبو المبنى، اقترب منه «جابر» بعد أن تأكد من اصطحابهم لكل من سيحتاجون إليه ثم تساءل: "هل سنمسك به؟".

أجابه «الذئب»: "لا، ليس الآن هناك الكثير من الكاميرات في الشوارع التي بإمكانها رصدنا، دعه يتعقبنا ونراقبه من بعيد بدون أن يدرك ولا تُوحي له بشيء".

انطلقت عدة سيارات بجوار سيارة الإسعاف تحت مرأى «قاسم» الذي توجه إلى سيارته وتعقبهم بسيارته، نظر «الذئب» في مرآته فشاهد سيارة «قاسم» تتعقبهم، حرص ألا يفقده حتى بلغوا أخيرًا محطة القطار، حمل الرجال «سيف» داخل الصندوق وتوجهوا لعربة فارغة في منتصف القطار وثبّتوه.

فكّك المسدس مجددًا ووضع أجزاءه حول خصره حتى تظهر على أجهزة التفتيش كحوض معدني صناعي، ترك هاتفه وأوراقه ودلف للمحطة، راقبهم حتى علم القطار الذي سيركبونه قطع تذكرة باهظة الثمن بآخر نقود يمتلكها.

نظر له الضابط نظرة عدائية قبل أن يسمح بمروره المحطة القطارات، عشرات القطارات من النوع الذي يطلق عليه قطار الطلقة، سرعته فائقة لأكثر من مائتي وخمسين ميلٍ في الساعة، لونه فضي بفولاذ نصف كروي أملس، بدون نوافذ فلا يستطيع أحد رؤية راكبيه، ارتصّت القطارات المتشابهة بجوار بعضها البعض مما أثار حنقه أين يبدأ البحث، حدّق في الشاشة العملاقة التي تذكر أرقام القطارات ووجهاتها، وجد أحدها يتوجه نحو الصحراء بينما الباقين يتوجهون لمدن أخرى أغلبها ساحلية.

دلف للقطار المُتوجّه للصحراء، مكث يبحث عن طفله، يتنقل بين عربات القطار بحذر، قبلها يدخل العربة التالية يضع أذنه الصناعية على الباب بعدما يضاعف قدرتها على الاستماع

لأخفت الأصوات عن طريق الضغط على زر قد ابتكره جوار أذنه.

إن كانت القدرة على السماع تتطلب جهازًا غريبًا عن الجسم، لم لا نزيد من قدرة هذا الجهاز، تلك القناعة التي صُنع من خلالها الكثير من الأعضاء ذات القدرات الخارقة ولكنها غير متاحة إلا للذين يستطيعون تحمل ثمنها الباهظ، عكف هو على تحسين قدرة أذنه بنفسه حتى نجح الأمر أخيرًا بعد العديد من المحاولات والإخفاقات.

بلغ أخيرًا عربة بابها مغلق بإحكام، حاول التنصُّت ولكن دون جدوى، زاد من قدرة أذنه على السماع لطاقتها القصوى، تمكن أخيرًا من سماع نبضات قلب، يعلم تلك النبضات الهادئة جيدًا، هبطت دمعة دافئة على وجنتِه رغمًا عنه، لطالما كان يُنصت لتلك النبضات في صدر طفله «سيف»، أخرج أدواته من حقيبته وحاول فتح الباب دون جدوى فقد كان مغلقًا بسلسلة فولاذية من الداخل، وجه مسدسه للباب بعد أن قام بتجميعه وتركيبه مجددًا وأطلق بعض النبضات الحرارية المتتالية صهرَت المقبض، دفع الباب بأقصى قوته فانفتح أخيرًا، شاهرًا مسدسه في وجه من قد ينتظره خلف الباب لمفاجأته لم يجد أحدًا في العربة عدا صندوق ثُبّتَ بإحكام لئلا يرتجّ أو يتحرك خلال رحلة القطار، فتح الصندوق، أصابه الذهول الشديد حين رأى طفله وفِلذة كبده فاقد الوعي يتصل بالكثير من الأسلاك تنتهى بأجهزة دقيقة تقيس وظائفه الحيوية، تسلّلت دمعة من عينه ضلّت طريقها بين لحيته القصيرة، أعاد المسدس لجعبتِه مرة أخرى ثم انهمك يفصل تلك الأسلاك عن جسد طفله، لم ينتبه حين دلف للعربة «جابر» ومعه بعض الرجال من جهة

و«الذئب» من الجهة الأخرى، انتبه إليهم أخيرًا فوجّه مسدسه تجاههم.

تحدث «الذئب» بهدوء بينما يقترب منه: "ستكون ميتًا للغاية لو أطلقت رصاصة واحدة". ثم أشار للصندوق وأردف: "هو أيضًا".

التفت إليه «قاسم» يوجه فُوّهة مسدسه تجاه صدر «الذئب» يرمقه بنظرة انتقام حادة، ترتعش يداه بينما يحاول الضغط على الزناد.

أردف «الذئب» ساخرًا: "لن يحيا طفلك للمساء لو حاولت قتلي".

ثم تبدلت ملامحه وصاح في رجاله: "أمسِكوه".

دفعه «جابر» للأرض وركلَه في بطنه رَكلةً انكمشَ «قاسم» على إثرها كجنين في بطن أمه، حاول النهوض مجددًا ولكنه تلقّى ضربه قوية على رأسه أفقدته وعيَه، سَلبوه مسدّسه واصطحبوه معهم.

***

مكثت «روان» تعيد مقطع الفيديو مرارًا وتكرارًا نال منها القلق والهلع الشديد، صنعت الدموع خطوطًا على وجهها كنهر يشق الصحراء.

تقف بجوارها السيدة «أميرة» تعلو وجهها ملامح الذُّعر والخوف الرهيب تتساءل: "ماذا سنفعل؟ لا يمكننا البقاء هنا، سوف يتعقب مصدر التحكم بتلك الطائرة اللعينة ويأتي إلينا ويقتلنا".

التفتت «روان» لـ«ريان» ثم تساءلت: "متى آخر مرة رأيت «قاسم» فيها؟".

أجابها «ريان»: "رأيته في سيارته بالقرب من المبنى في الليل وعندما حل الصباح كانت قد رحلت السيارة".

«روان»: "لم يذكره في حديثه، لم يهددنا بقتله، ربما ما زال لا يعلم بوجوده، ربما ما زال حيًا، ربما لم أفقد زوجي وطفلي حبيبي للأبد".

اقتربت السيدة «أميرة» وربتت على كتفها ثم قالت تُواسيها: "ربما هناك أمل أنهما سوف يعودان إليكِ مرة أخرى".

التفتت إليها «روان» ثم عانقتها تلتمس الأمان الذي فقدته وحل مكانه اليأس ثم قالت: "أنتِ محقة، لا يمكننا البقاء هنا، يجب أن نرحل".

السيدة «أميرة» بنبرة صوت قلقة: "لأين سنذهب؟ وكيف سنذهب؟ المهندس «قاسم» كان الوحيد الذي يعلم كيف يمكننا فتح تلك الفقاعة وكيف سيرتدي «ريان» بذلته الخاصة".

«روان» بثقة: "لقد درست مع «قاسم» في نفس الجامعة، كان دائمًا ما يخبرني تفاصيل عن الفقاعة وطريقة عملها، ولكن لم يخبرني بشأن البذلة، يمكننا قراءة التعليمات الخاصة بارتدائها".

أسرعت السيدة «أميرة» وأحضرت البذلة الخاصة بـ«ريان» التي تمكنه من الخروج من المنزل، كانت تشبه لحد كبير البذلة الخاصة برواد الفضاء تمنع دخول الهواء المحمل بالميكروبات

القاتلة لداخلها وفي الخلف رُكّب جهاز يقوم بتنَقيَة وترشيح الهواء ليسمح بالتنفس داخلها هواء نقيًا.

عكفت «روان» لبعض الوقت على تركيب وتهيئة البذلة قبل أن تُعقّمها وتُدخلها لـ«ريان»، ثم ساعدتْه لارتدائها بواسطة يدين بلاستيكيتين صنعا في الفقاعة لمثل هذه الأمور.

عندما تمكن أخيرًا من ارتدائها وخرج من فقاعته لأول مرة منذ ولادته عانقته السيدة «أميرة» طويلًا، لقد افتقدت عناقه، وجوده داخل الفقاعة كامل وقته يحول دون ذلك.

تساءلت السيدة «أميرة» بقلق: "بقي السؤال، أين سنذهب؟".

أجابتها «روان» تعلو وجهها نظرة مُتشكّكة: "سوف نذهب لمدينة «جلوري»، والدتي سوف تجد مكانًا لا يستطيع الوصول إلينا فيه".

تصارعت الأفكار برأس «روان»، هل من الحكمة الذهاب للرجل الذي هدّدهم بقتلهم في مَدينتِه؟ تشك أن والدها ربما هو من قام باختطاف طفلها، أو هو من أخبر أحدًا في الشركة بشأنه، في الحالتين، هل يمكنها الوثوق به أو بوالدتها التي على الأغلب هي من أخبرته من البداية، ولكن ما هي على يقين به أنه ليس لديها الكثير من الخيارات.

جَحيمٌ تحتَ الأرض

استَفاقَ «قاسم» ليجد نفسه في غرفة فارغة تمامًا عدا من فراش على الأرض، جُرّدَ من ملابسه ووجد نفسه مرتديًا ملابس بيضاء كملابس المرضى في المستشفيات، نهض وحاول الوصول للباب لفتحه ولكنه وجد أن الباب معدني مَقبَضه يفتح فقط من الخارج، نظر للسقف فوجد أربع كاميرات دقيقة في كل ركن من أركان الغرفة الصغيرة تراقب كل تحركاته صغيرها وكبيرها.

عاد ونام على الفراش ووضع يده تحت رأسه، بدون أن تدركه الكاميرات قام برفع الصوت الذي يصل لأذنه الصناعية أملًا في معرفة أي شيء عن طفله أو طريقة ليهرب بها.

التقطت أذنه أصوات كثيرة، صرخات واستغاثات، لأطفال وكبار، يستنجدون للنجاة من مصيرهم المحتوم، أيقنَ أن هذا المكان حيث يمارسون فيه تجاربهم، تلك التي يريدون إبقاءها خارج السجلات، عمليات نقل الأعضاء الحيّة من الأطفال لهؤلاء من يستطيعون دفع الثمن، دمعت عينيه حين طرقت رأسه فكرة هل أحد الصارخين هو ابنه، «سيف»، هل يتألم الآن؟ يفصل بينهما أمتار بينما هو غير قادر على حمايته وإنقاذه.

خفض قليلًا من الأصوات التي تبلغ أذنه، انكمشَ على نفسه في الفراش، سبح في بحر أفكاره، أراد النوم ترقرقت الدموع في عينيه في لحظة يأس، أراد الموت، أراد ما يخلصه من ذلك السجن اللعين، ولكن شتّان بين رَغبتِه وواقعه.

"عزيزي القارئ من المستقبل/

لا أعلم إن كنت سترى كلماتي التالية، أم ستموت بين طيات عقلي، لا أعلم عدد الأيام التي مكثتها هنا، وما هو مصيري ومصير طفلي، للحظات تمكن مني اليأس، حين ينقطع الأمل، يحل محلّه الرّجاء، إنه بطريقة سحرية سوف ينقلب الحال، سوف يتحسن الوضع، سوف تزول آثار المصيبة، سوف أستعيد طفلي".

كان كل يوم يزيد من قدرته على عزل الأحاديث والأصوات التي يحاول تبينها وسط الصرخات، التقط بعض أحاديث رجال الأمن عن مواعيد بداية ونهاية مُناوبتهم، وأحاديث أخرى لبعض النساء يشتكون من ابتعاد هذا المكان عن المدن والوقت الذي يَقضينه في رحلات الحضور والرجوع لبيوتهن مجددًا.

أحد الأيام سمع الكثير من النشاط في الصباح، التقطت أذنه حديث إحدى النساء: "سوف تأتي اليوم، يقولون أنها على وشك الوصول".

شعر بالرعب في نبرة صوتها، زاد فضوله عندما انخفضَت الأصوات كثيرًا بعد فترة وجيزة حتى كاد يشك أن أذنه قد نفدَت طاقة بطاريّتها.

قبل قدوم الليل -الذي لا يدله على قدومه إلا وجبة العشاء- سمع صوت سيدة تقول: "أين وصلنا؟". كان الصوت مألوفًا له.

أجابها صوت آخر لرجل يبدو من لَكنتهِ أنه ليس عربي الأصل يجيبها: "تعمل الآن على إجراء التحاليل والفحوصات التي نتمنى أن تعطينا فكرة عن سبب عدم تأثره بالفيروس كباقي الأطفال".

التقطَ سمعُه همهمات لعديد الأجهزة بجوارهما.

تساءلت السيدة يبدو بعض الغضب في نبرة صوتها: "ما هي نظريتك؟".

أجابها الرجل بنَبرةٍ مُتشكّكة: "تركيب الجينوم الوراثي DNA معقد، لا نستطيع تبين كل تفاصيله في وقت قصير، أريد إجراء بعض التحليلات على الآباء أيضًا، ولكننا أحرزنا تقدمًا ملحوظًا في إنبات جنين بالاعتماد على DNA الكامل للطفل".

التقط بعدها صوت الرجل الذي أمسك به، لاحظ رهبة العاملين في ذلك المبنى -الذي يبدو أنه مركز أبحاث عملاق وزراعة أعضاء- منه، كانوا يشيرون إليه باسم «الذئب» قائلًا: "قبضت عليه حين حاول التسلّل لاستعادة طفله في القطار".

صمتت السيدة قليلًا ثم قالت: "أريد مقابلته". ثم أردفت "أريد إحراز نتائج في أسرع وقت، المجلس لن يصبرَ طويلًا.

لم يمضِ الكثير من الوقت قبل أن يقوم بعض الرجال بفتح باب الغرفة التي يحتجزونه بها، ثم اصطحبوه في رَدهةٍ طويلة يُمسكان به عن يمينه ويساره، ارتفعت الصرخات والأنّات التي يسمعها بينما يسير في الرّدهة، لمحَ حين فتح أحد الأبواب أطفالًا يمرّون حوله يُجهّزون لحصد أعضائهم بإرادتهم أو رُغمًا عنهم، ولكن أكثر ما أثار دهشته هي تلك الحضانة تتوسط غرفة كبيرة فارغة أحد جدرانها زجاجي يسمح برؤيتها ورؤية الجنين الذي يسبح بداخلها، وقف يتأملها في ذهول قبل أن يجد كفًا على رأسه من أحد رجال الأمن الذين يقودونه فأكمل سيره معهم للطابق العلوي، كان يسوده الهدوء أكثر من الطابق السفلي الذي يعمل كخلية نحل، التقطت أذنه صوت أنات خفيفة يعلمها جيدًا لطفله «سيف» قادمة من إحدى الغرف المغلقة وبجواره طنين لأجهزة كثيرة، زاد صوتها حين مرّ

بجوارها حتى بلغ أخيرًا باب غرفة، توقف عنده الحراس وخرج لهم أحد الرجال يرتدي بذلة سوداء فخمة، اقتاده للداخل وأمر الحراس بالانتظار بعد أن اطمأن لمَتانةِ القيود التي قُيّدَ «قاسم» بها، تأمل الغرفة التي كانت كبيرة يتوسطها مكتب خشبي عتيق مزخرف ربما يكون عمره بلغ القرون، تعجّب لوجوده بين الكثير من الأثاث والأجهزة المتطورة التي تعمل جميعها بالذكاء الاصطناعي.

دلفت الغرفة بعد وقت وجيز امرأة في رداء أحمر يحتضن جسدها المنمّق يبدو أنها اشترته بآلاف الدولارات، خاتمها الماسي الذي بيدها أو ساعتها باهظة الثمن قد يحلان مشكلة الفقر في الحيّ الذي يقطنه وينتقلون جميعًا لمدينة «جلوري» دون أدنى عناء، مكثت قليلًا تَرمقُه بعينين واسعتين، تنظر بحدّة عيون الصقر إلى لحيتِه الشّعثاء التي أهمل تقليمها منذ أن اختُطفَ طفله ثم قالت: "ماذا أردت أن تفعل في القطار قبل أن يمسك بك رجالي؟".

أجابها قائلًا: "لقد رأيتك على التلفاز".

«أمنية»: "لا أحد يشاهد التلفاز الآن".

«قاسم» محاولًا تصنع البرودة والهدوء: "أنا أحب الأجهزة القديمة، تعطي إيحاء بـ...". وسكت قليلًا يفكر في كلمة تعبر عما يريد ثم قال: "الأصالة، عملة نادرة هذه الأيام".

تساءلت بحنق: "ماذا تريد؟".

أجابها بأسى: "طفلي".

ضحكت بسخرية ثم قالت: "نحن نملكه الآن".

ارتسمَت ملامح الغضب على وجه «قاسم» وقال: "لن أسمح لكم بحرماني منه، سأمحو كل من يقف بيني وبينه، العالم سيكون مكانًا آمنًا بدونكم".

زادت من قهقهاتها الساخرة ثم قالت: "كيف تخطط لحدوث ذلك؟ سوف تقتلني ويعود العدل للعالم، فجأة سيختفي الأوغاد وتنتهي الشرور، أنا لست سبب المشاكل التي تحدث، أنا فقط أحقق استفادة من خلالها، سوف تخسر على أية حال؟!".

«قاسم»: "أنا أعلم، لكن الانتصار للعدل ومقاومة الظلم يستحقان التضحية من أجلهما".

السيدة «أمنية»: "أنا أفعل ما لا يتحمله الكثير، أساعد جميع الناس ليعيشوا حياة طبيعية بقدر الإمكان، هل الطرق التي أتبعها للوصول لذلك الهدف دائمًا ما تكون كما تسمونها "جيدة"؟ بالطبع لا، أحيانًا يداي تتّسخان قليلًا حتى أعفيكم جميعًا من العبء، عبء الأخذ في الاعتبار الصورة الكبيرة، مصلحة الجميع".

قال «قاسم» بامتِعاض: "تتّسخ يدك قليلًا! هذه أرواح التي تُزهقينها، الأطفال، الرجال، النساء، جميعهم بشر لديهم حياة وآمال وأحلام، لا يمكنك تحقيق الثراء على جُثثهم".

صاحت السيدة «أمنية» بنبرة صوت غاضبة: "أنت لا تعلم أي شيء عنهم، لا تعلم شيئا عن آمالهم وأحلامهم، إنه العبء الذي تحمّلته بمفردي، لم أختَرْه، لا أجد المتعة فى فعل تلك الأشياء، ولكن من أجل أن يموت القليل، يوجد هناك الكثيرون الذين تحسّنت حيواتهم بفضل أعضائنا ومنتجاتنا".

«قاسم»: "أنا لا أعتقد أنه بإمكانك تبرير قتل كل هؤلاء من أجل أبحاثك ومشاريعك".

السيدة «أمنية»: "لا أعتقد أنك تفهم ما أقول، مثاليتك الزائدة تحجُب الحقيقة الواضحة أمام عينيك، الكثيرون يموتون في الشارع، في البيوت، في المستشفيات، لم لا يكون لموتهم هدف، غاية، الخلود الذي يطمح إليه الجميع، يومًا ما قد ترى الأمر من منظوري وستدرك أنني على صواب".

«قاسم»: "لا أعتقد أن هذا اليوم سيأتي قريبًا".

تأمل «قاسم» كلامها، ربما تكون على صواب، إن كانت هناك فرصة لعودة البشرية لسابق عهدها، هذا أيضًا يستحق التضحية لأجله.

تردد صوتٌ آخر برأسه: "لا، لا، لن أجعلها تخترق عقلي، البشرية فعلت ذلك لنفسها، لن يكون طفلي كبش فداء أخطاء عقود من الثورة الصناعية العمياء".

همّت بالضغط على زرّ بجوار مكتبها لاستِدعاء رجلي الأمن اللذان أحضراه ولكن استوقفها قوله: "أستطيع مساعدتكم فيما تحاولون فعله".

تساءلت السيدة «أمنية» بتعجب: "ماذا تظن أننا نحاول فعله؟".

أجابها بثقة: "مما لمحتُه أثناء سيري لهنا، أعتقد أنّكم تمكّنتم من صنع رحم صناعي يعمل خارج الجسم وتريدون حصد هرمون النمو يُمكّنكم من اختصار السنين لأشهر قليلة".

اعتدلت في جلستها ثم قالت بعد أن نالت كلماته انتباهها: "ما الذي تظن أنك تستطيع فعله لمساعدتنا لا نتمكن من فعله بدونك؟".

أجابها «قاسم»: "لقد صنعت جهازًا تمكّن من استنساخ أجزاء معينة من شريط DNA، كان ذلك الجهاز مشروعًا عملت عليه أثناء الكلية".

السيدة «أمنية»: كيف تعرف أي الأجزاء التي نحن بحاجة إليها؟ ولماذا أنت على يقين أننا لم نتوصل لذلك بالفعل؟".

شعر «قاسم» باقتراب فشل خطته فقال: "أريد رؤيته، حينها فقط سوف أخبرك بكل ما تريدين معرفته".

أشارت المدير مكتبها أن يُحضر الدكتور «ديفيد فيتر».

تردد قليلًا أن يمضي ويتركهما بمفردهما قلقًا أن يتهجّم «قاسم» عليها ولكنها رفعت مسدسًا كانت تُخبّئه تحت المكتب ووجهته نحو «قاسم»، حاول «قاسم» الحفاظ على رَباطةِ جأشِه بينما ينظر لفُوّهَة المسدس ويتخيل رصاصة طائشة تنطلق نحوه.

نطق «قاسم» بصوت يرتعش: "دائمًا ما كنت أعلم بقدوم هذا اليوم، لذا عكفتُ على دراسة الجينات الوراثية للأعضاء المضمورة وقارنتها بشريط «سيف» الوراثي الكامل، أعلم ترتيب الجينات المسئولة عن أغلب الأعضاء المهمة كالعين والقلب والأذن والكبد وطريقة استنساخها وإدماجها مع الشريط الوراثي للشخص المستقبل، الأهم أنّني أستطيع صناعة جهاز يمكننا من استنساخ الجزء السليم ثم لصقه على الشريط الوراثي المَعطوب في الحيوان المنوي والبويضة قبل التِحامهما في

الخلية الأولية المُخصبة (ZYGOTE) ومنها ستنقسم قبل زراعتها في الرحم لإنبات جنين بدون عيوب خلقية، بدون ضمور في أي من خلاياه، هذا من شأنه أن يحدث ثورة في مجال الهندسة الحيوية".

تساءلت السيدة أمينة ترتسم ملامح الشك على وجهها: "كيف أثق أنك قادر على فعل ما تدّعيه؟".

أجابها «قاسم» بيأس: "أريد رؤيته، سأفعل كل ما ترغبون به مقابل سلامته".

قبضت بيديها على المسدس ثم قالت بصوت حاد: "لا أعتقد أنه بإمكانك أن تُملي شروطك، لدينا حاسبات فائقة ستصل لتلك النتائج في وقتٍ وَجيز".

سحب «قاسم» آخر سهم في جَعبتِه لإقناعها أنها تحتاج إليه، يعلم أن ذلك السبيل الوحيد للإبقاء على حياته وحياة طفله لأطول وقت ممكن، قال تبدو الثقة على وجهه: "إن كنتم ستصلون لشيء لبلغتُموه قبل وقت طويل، لا بد أنك تعلمين أن الأمر ليس بهذه البساطة".

ابتسمت وقالت ساخرة: "أتعتقد أنك توصلت لما لم تستطع الحواسب الفائقة الوصول إليه؟".

أجابها بثقة مصطنعة: "لدي ذاكرة فوتوغرافية أستطيع حفظ الكثير من التتابعات الجينية بلا عناء".

قالت بعد أن بدأت تقتنع قليلًا بحديثه: "أريد رؤية أحد تلك الملفات لإثبات أنك على حق".

ابتسم بخُبث، شعر أنه قد تمكن من إقناعها ثم قال: "أنا لا أأتمِن جهازًا إلكترونيًا يمكن اختراقه على ما سيقوم بإنقاذ طفلي يومًا ما".

تساءلت السيدة «أمنية» بتعجب: "لماذا لم تنشر ما وصلت إليه؟ إن قمت بإنتاج تلك التتابعات الجينية بنفسك ستجني أموالًا طائلة".

أجابها بأسى: "هذا من شأنه أن يجذب الانتباه لطفلي وذلك ما لا أريده منذ ولادته، أيضًا الجهاز الذي سوف أستخدمه تكنولوجيا قديمة أحتاج ثروة لصناعته".

لازمت الصمت، أمرت رَجلَي الأمن اللذين أحضراه بإعادته لغرفته أو محبسه مجددًا، تجاهل صرخات الأطفال وبكاء النساء ونحيب الرجال أثناء عودته، تتلاعب برأسه أمواج مُتلاطمة من الإحساس بالذنب وتأنيب الضمير وتعصِف بروحه، حين بلغ غرفته أغلق أذنه حتى ينعم بعض الهدوء.

"عزيزي القارئ من المستقبل/

ربما من الأفضل أن تموت تلك الكلمات بين طيات عقلي وألا ترى النور أبدًا، ربما إن دوّنت ما حدث لن أجد منك إلا نظرات استحقار ودونية، لا تحكم على ما فعلته عزيزي القارئ من المستقبل، أحيانًا يجب أن تنطح أمام العاصفة حتى تمر وتنقذ ما يمكن إنقاذه.

أنقذ ما يمكن إنقاذه، كلمة تقال عند الدمار والخراب الشديد، أنقذ ما يمكن إنقاذه، من يُحدّد ما يمكن إنقاذه؟ من يحدد ما يستحق الإنقاذ؟ ما هي الطريقة لذلك؟ ما الغرض في الأساس؟ إذا حل الدمار، ماذا يفيد إنقاذ أي شيء؟ الكل إلى زوال، الحياة

نفسها ستنتهي، ليس هناك سبب للاستيقاظ في الصباح، ليس هناك سبب للحلم بغدٍ أفضل، أي غد يقوده هؤلاء الأوغاد لن يكون أفضل بأي حال من الأحوال، ربما لهم، ثرواتهم تتغذى على الحروب والكوارث حتى تتضخّم بينما يحلّ الفقر المُدقع على الفقراء بالأساس، يريدون الحياة الأبدية، بينما يُؤجّجون الحروب والفتن بإعلامهم فيقتل الناس بعضهم ويأكل القوي الضعيف فيقل عددهم، يظنّون بذلك أنهم سينالهم حصة أكبر من الموارد، ولكن مقابل كل فقير يموت يولد خمسة آخرون، لن يحقّقوا غايتهم أبدًا".

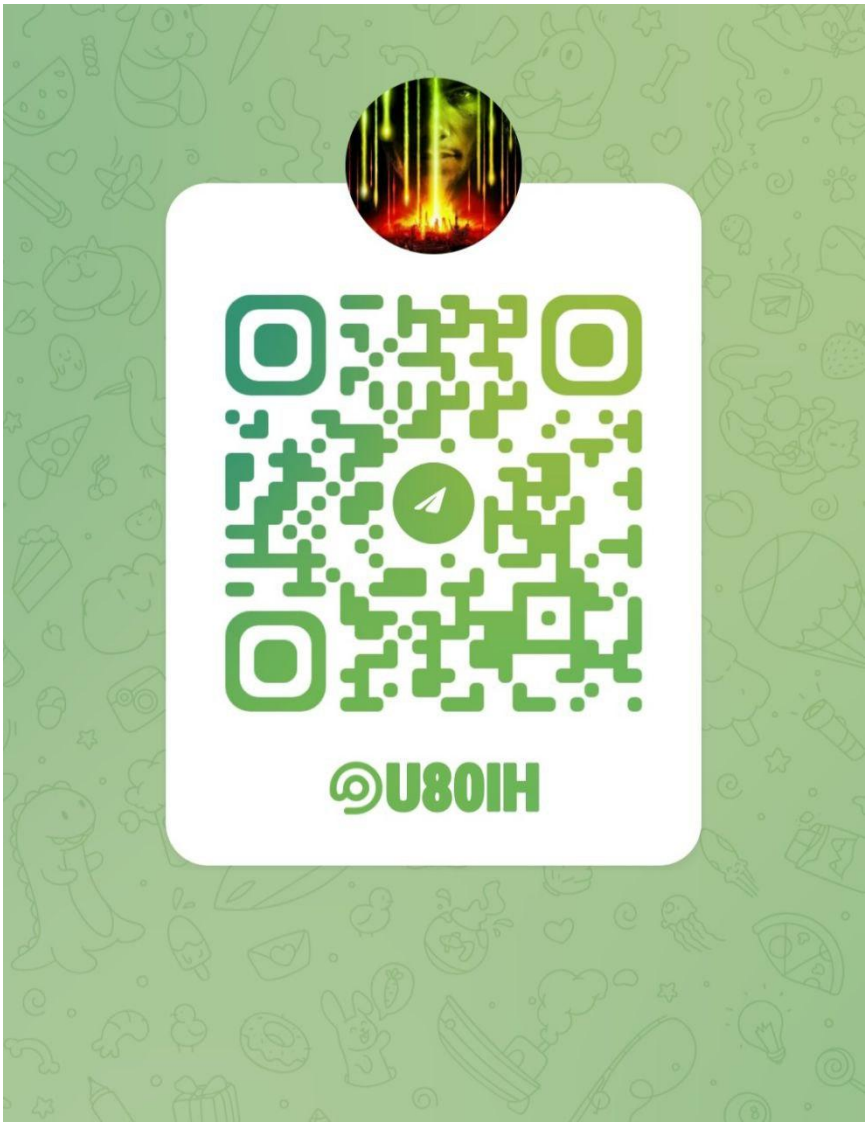

لَيتَك هنا

أغمضت عينها، حاولت استيعاب الأفكار التي تعصف برأسها في تلك اللحظة، التفت بكرسيها، فتحت عينيها تتأمل صورة والدها المعلقة على الحائط بطول ثلاثة أمتار، تنظر عميقًا في عينيه المرسومتَّين وكأنه يبادلها النظر، يحكم على كل صغيرة وكبيرة من أفعالها، دائمًا ما كان يعاتبها على أدق أفعالها بحجة أنه يريد أن تكون خير خلف له في إدارة أحد أقوى الشركات في العالم، فرّت دمعة من عينها مسحتها ثم صاحت: "لقد أوشكت على فعلها، لقد أوشكت على تحقيق ما لم تَجرؤ في حياتك الطويلة البائسة على الاقتراب منه، سأمحو كل الآثام التي اقترفها البشر طوال تاريخهم، وستصبح شركتي أهم شركة في العالم، ليتك هنا الآن، ليتك هنا الترى ما سأصبح فتموت مجددًا من فرطِ غيظِك".

فيتر. قطع انفعالها صوت مدير مكتبها يخبرها بحضور الدكتور «ديفيد فيتر».

عدّلت من جلستها وأزالت نظرات الحنق الشديد التي اعتلت وجهها ثم فتحت الباب بقولها: "افتح".

دلف الدكتور «ديفيد فيتر» تعلو وجهه نظرة الخذلان الشديد، أراد الحديث ولكن استوقفته بقولها: "لا" داعي لتَبرير أي شيء، يبدو على وجهك الفشل فيهما أوكلتُ إليك فعله".

قال دكتور «ديفيد فيتر»: "نحن بحاجة لمزيد من الوقت، الأمر أكثر تعقيدًا مما ظننا".

نهضت السيدة «أمنية» ثم سارت تجاهه ترمقُه بنظرة حادة، قالت: "ليس لدينا المزيد من الوقت، مجلس الإدارة لن يمهلني

مزيدًا من الوقت، يريدون رؤية عائد لاستثمارهم الضخم، لقد ثنيت القوانين حتى تحصل على ما طالبت به، يجب أن أحصل على نتائج بدوري، ألا ترى ذلك؟".

الدكتور «ديفيد فيتر»: "نحن نعمل على مدار الساعة حتى نحقق ما نطمح إليه جميعًا، هذا المشروع أهم ما خاضته الشركة في العقود الأخيرة، لن أبالغ إن قلت إنه أهم مشاريع القرن، النجاح بتحقيق أهداف الشركة، أهداف المشروع، أهدافك، سوف يكون أهم إنجاز يحدث منذ ظهور ذلك الفيروس، أخيرًا سنتمكن من مواجهته والقضاء عليه للأبد".

ابتسمت السيدة «أمنية» بخُبث، تُدرك ما يحاول فعله، اقتربت منه وهمست: "كل ذلك لا يعوض نزيف الأموال التي أنفقتها يوميًا حتى الآن، أربعمائة وسبع وثلاثين مليون دولار منذ بدء المشروع، أتعرّض لضغط هائل بسبب تلك الأموال، ليس لدينا المزيد من الوقت، يجب أن أرى نتائج سريعًا".

ارتسم القلق على وجه الدكتور «ديفيد فيتر»، حاول النطق ولكن لسانه أبى إلا أن يقبعَ داخل فمه.

تساءلت السيدة أمنية بفضول: "ماذا لو كانت هناك طريقة المعرفة الجينات المسؤولة عن ضمور كل عضو على شريط DNAواستنساخها ولصقها على الشريط المعطوب؟".

أشرق وجه الدكتور «ديفيد فيتر» عن ابتسامة سعادة صافية ثم قال: "سيكون أمرًا مهمًا للغاية، وسيقربنا كثيرًا من تحقيق هدفنا الذي نَصبو إليه".

قالت السيدة «أمنية»: "هناك من يقول إن باستطاعته عزل تلك الجينات وصنع جهاز لاستنساخها، هل ما يقوله قابل للتحقيق؟".

أجابها الدكتور «ديفيد فيتر»: "لو فعل ما يدّعيه، ذلك سوف يوفر علينا الكثير من الوقت والمجهود".

صمتت قليلًا ثم قالت: "لأجلك، أتمنى أن تكون محقًا".

بعد انصرافِه أمسكَت هاتفها ولمسَت بضعة أرقام، انتظرت، ثم قالت: "أريدك أن تفعل شيئًا لأجلي".

أتاها الرد: "حسنًا سيدتي".

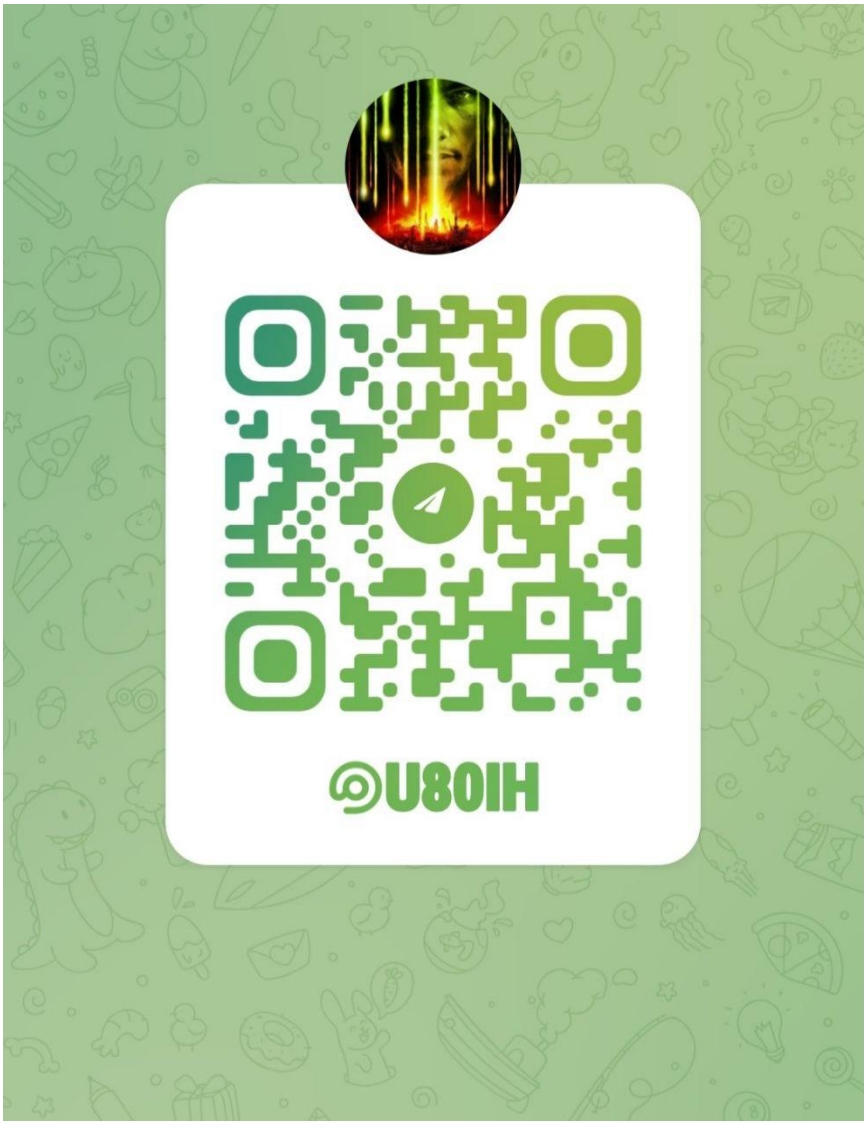

لقَد فقَدتُّهما

قبل أن يغادروا العمارة قالت للسيدة «أميرة»: "أريد نسخة من هذا الفيديو". ومكثَت تبحث عن لوحة التحكم حتى تقوم بتَحميله على سوارها الإلكتروني، توقفت عندما وجدت «ريان» يقف بمواجهة الشاشة، رمش بعينه الصناعية فتحول لونها للأسود وظهر بداخلها نور ضئيل نبض طوال تسجيله لمقطع الفيديو ثم توقف، قرب سواره من -سوار «روان» ونقل لها الفيديو.

نظرت «روان» بتعجب مما فعل فقال لها: "أضاف لي المهندس «قاسم» خاصية تسجيل ما أراه وقال إنها توجد في الأعين الصناعية للأثرياء".

تذكّرت «روان» حين قامت والدتها بتغيير لون عينها حين علمت بشأن طفلها «سيف» ومكثت تُراقبه لبعض الوقت، ما كان بداخلها شكًا أصبح الآن يقينًا، والدتها قامت بتصوير طفلها، لماذا فعلت ذلك؟ ومن أطلعتْ على المقطع؟ وهل ذلك هو السبب في اختطافه؟ هل لوالدتها علاقة باختطافه؟

اختفت الشمس خلف الغيوم التي حجبت زُرقة سماء ذلك الصباح الشاحب، كانت جميع الأنظار معلقة بذلك الطفل الذي يرتدي تلك البذلة العجيبة، انطلقوا بسيارة «روان» حتى بلغوا مدينة «جلوري»، توقّفوا قليلًا عند نقاط التفتيش حتى فحصوا بذلة «ريان» جيدًا، وصلت أخيرًا لوجهتها، ترددت قبل أن تترجّل من السيارة.

تلقّت والدتها إشعارًا بتوقف سيارة خارج سور القصر.

رن هاتف «روان» وظهرت صورة والدتها، كانت الزيارات قد قلّت حتى انقطعت تمامًا في الشهور اللاحقة للحادثة وحتى الاتصالات تواصلت لبضعة أسابيع حتى انتهت تمامًا.

أجابت «روان» على الهاتف بهدوء تحاول إخماد حمم القلق والغضب المُستعِرة بداخلها: "مرحبًا، والدتي!".

السيدة «كاريمان» بقلق: "هل هناك خطب ما؟ لماذا لا تقودين سيارتك عبر البوابة؟".

أرادت إخبارها باختفاء طفلها وزوجها حين تكون أمامها حتى ترى ملامح وجهها، قادت السيارة عبر البوابة الحديدية العملاقة والممر الذي ينتهي بجراج صغير، ترجّلوا جميعًا من السيارة، كانت والدتها تنتظرها عند الباب، تعجبت من البذلة التي يرتديها الطفل ولكنها تفهّمت حين أخبرتها السيدة «أميرة» عن حالته.

قدم والدها السيد «رمزي» يتساءل بقلق: "هل أنتِ بخير؟".

أجابته «روان» بأسى، حاولت كثيرًا حبسَ دموعها التي سالت رغمًا عنها: "لقد فقدتهما، طفلي حبيبي اختُطفَ من مَهدِه، وزوجي ذهب للبحث عنه ولم يعد". ضعفت مقاومتها وأجهشَت بالبكاء، حدّقت في وجهيهما تراقب ملامحهما بينما تزفّ إليهما هذا الخبر الصادم ولكن بلا جدوى، عمليات التجميل الكثيرة التي أجرَياها جعلت من الصعب للغاية إدراك ردود فعلهما.

عمّقت نظرتها لوالدها، يبادلها النظرات بأعين خاوية مَنزوعة منها الحياة.

اغرورقت عيناها بالدموع، ثم أردفت قائلة: "حين ذهب للبحث عن «سيف»، كان بحوزته مسدس، أنا قلقة أن يكون قد أصابه مكروه".

اقترب منها السيد «رمزي» ثم تساءل: "متى كانت آخر مرة رأيتِه فيها؟".

أجابته «روان»: "«ريان» رآه في سيارته بجوار مبنى في مدينة «جلوري»".

نظر السيد «رمزي» لـ«ريان» متعجبًا.

أردفت «روان»: "تابعه بطائرته المُسيرة". ثم قامت بتشغيل مقطع فيديو يظهر سيارة «قاسم» بجوار المبنى، تعرفت عليه السيدة «كاريمان»، التفت للسيد «رمزي»، رَمقتْه بنظرة حادّة تلومُه بكلمات غير منطوقة، لمحتها «روان» ولكنها لازمت الصمت، دار في عقلها فكرة أن والدها هو من أخبرهم عن طفلها.

أمسك السيد «رمزي» بهاتفه وأرسل برسالة من خلاله ثم قال: "لو امتَثلتِ لأمري وتولّيتِ إدارة الشركة لما حدث أي من ذلك".

ثارت حِممُ الغضب الشديد بداخل «روان»، ربما علمت ما قدمت من أجله، تيقّنت الآن أن والدها لا يهتم بشيء عدا شركته ونفسه، لن يهمه من سيضحي به في سبيل ذلك، ربما هو من أوصى بخطف طفلها حين علم عنه، ربما ذلك سبب نظرة والدتها الصارمة له.

ساد الصمت والتّوتّر لفترة وجيزة قطعه صوت رنين جرس الباب الخارجي للقصر، فتحت الخادمة الباب، قدم عليهم رجلٌ

يرتدي قميصًا أسود اللون وبنطالًا من الجينز، يَكتنِز خصرُه العريض الكثير من الدهون بانحِناءاته وثَنياته، بجانبه يُعلّقُ مسدسًا كبير الحجم.

رحّب به السيد «رمزي» قائلًا: "مرحبًا أيها المحقق «حازم»!".

أجابه الرجل بصوت أَجَش: "مرحبًا سيد «رمزي»، لم أرسلت في إحضاري؟ أرجو أن تكون الأمور على ما يرام".

أجابه السيد «رمزي» بأسى مصطنع: "اختُطفَ حفيدي وصهري، تريد الاستفادة من قدراتك وخبراتك المعرفة مكانهما وإنقاذهما".

أخرج سيجارة من علبتها، أشعلَها بلا مُبالاة وقال: "سأرى ما يمكنني فعله".

توجه نحو «روان» وقال: أشعر بالأسى لما حدث، لا شك أنكِ تمرين بوقت سيئ الآن، ولكن أريد منكِ الإجابة على بعض تساؤلاتي".

أومأت «روان» برأسها موافقةً.

شرع يسأل: "هل اختُطِفا معًا؟".

«روان»: "لا ، اختطف طفلي من مَهده واختفى زوجي حين انطلق للبحث عنه".

المحقق «حازم»: "هل هناك شك أن الوالد ربما يكون هو من اختطف الطفل؟".

رَمقتْه «روان» بنظرة حادة عدائية ثم صاحت بنبرة قاطعة: "بالطبع لا".

رفع المُحقّق «حازم» يده في الهواء قائلًا: "لقد وجبَ أن أسأل، فلنمضِ قُدمًا". ثم أردف: "هل تواصل معكم أحد لطلب الفدية؟".

أجابته «روان»: "لا، لا أعتقد أن الأمر له علاقة بذلك".

ارتشفَ من رحيقِ سيجارته ثم نفثَ دخانها بهدوء، تساءل متعجبًا: "ولم لا؟ لا يخفى على أحد حجم ثروة السيد «رمزي»".

أجابته «روان»: "هذا الطفل مختلف".

حدّق بفضول ينتظر باقي حديثها.

ارتبكت قليلًا ثم أردفت: "وُلدَ بأعضائه كاملة داخليًا وخارجيًا".

رمقَها بنظرة غير مصدق لما قالت، وقال: "أنا لا أعتقد أن ذلك من الممكن حدوثه". ثم نفثَ دخانًا كثيفًا في الهواء بحجم رئتيه الهائلتين.

أخرجت هاتفها وقامت بتشغيل مقطع فيديو قديم لطفلها عليه قائلة: "تستطيع رؤية ذلك في هذا الفيديو".

اقترب وشاهد المقطع لا يصدّق عينَيه، رمى السيجارة على الأرض ودَعسَها بقدمه ثم قال بحماس: "هل لديكِ فكرة من أين نبدأ بحثنا؟".

أجابته: "لقد سافر عبر القطار، سُحبُ مبلغٌ من رصيده في محطة القطار، لا أعلم أين ذهب".

المحقق «حازم» بتفاؤل عجيب: "ليست أفضل شيء، ولكنها بداية جيدة". ثم التفت للسيد «رمزي»: "سأرى ما بإمكاني فعله، سأبقيك على اطّلاع بالمستجدّات".

قبل أن يمضي خارجًا عبر الباب التفت مجددًا كأنه نسيَ شيئًا:
"الرقم الذي اتّفقنا عليه، سوف نُضاعفه".

أشعل السيد «رمزي» سيجاره الكولومبي الفاخر ثم قال:
"أفضل محقّق قد يَشتريه المال".

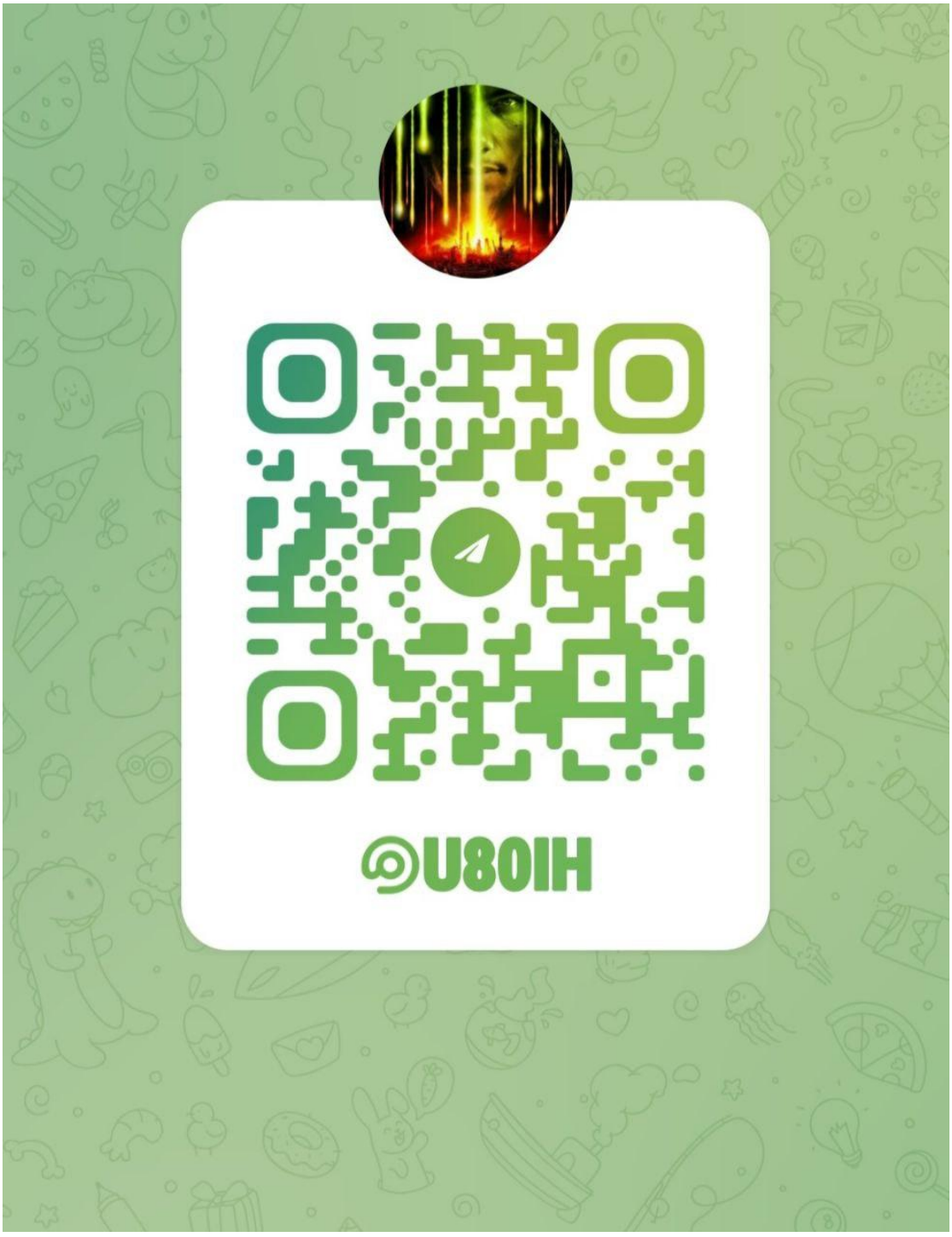

غايةُ الخُلود

مرّ أسبوع على لقائه بالسيدة «أمنية»، كان يحاول التّنصُّت على ما يحدث بين الحين والآخر، لا جديد يئسَ أن تكون اقتنعَت بحاجتها إليه

فُتح باب غرفته صباح أحد الأيام، ظنّ أنه الحارس يُحضر إفطاره، لم يُلقِ له بالًا، ولكن سمع صوتًا لفت انتباهه، صوت يعلمه جيدًا يقول: "أرجو أن تكون الإقامة لدينا لاقت إعجابك".

التفت «قاسم» فوجد «الذئب» واقفًا عند الباب، نهض وسار تجاهه قائلًا: "سأكون ممتنًا أكثر لو تركتموني أرحل".

«الذئب» ساخرًا: "أنا لا أرى أن ذلك سيحدث في وقت قريب، اتبَعني".

خرج «الذئب» وتبعه «قاسم» دون أن يُقيّد، سار خلفهما حارسان لئلا يحاول الهروب، توقف «الذئب» عند إحدى الغرف، دلفَ عبرها، كانت تعجّ بالكثير من الأجهزة التي تحدث طنينًا عشوائيًا، يقف عندها بعض الأطباء والممرضات يتابعون البيانات الدقيقة، جميع الأجهزة

متصلة بطفله «سيف» المُمدّد على الفراش في منتصف الغرفة، حين رآه «قاسم» اندفع تجاهه بحماس تقطر الدموع من عينيه، أراد أحد الأطباء منعه من الاقتراب من الطفل ولكن «الذئب» أشارَ له أن يتركَه.

وكأن الحياة عادت لجسده الذي أوشكَ على التّيبُّس والموت، عانقه بقوة وقبّل كل جزء في وجهه بحماس وشغف.

أمر «الذئب» بإخلاء الغرفة لدقائق، اقترب من «قاسم» ثم قال: "هناك من يُولدون فيعيشون ويموتون مَجهولين عاديين لا يعلم بشأنهم أحد، وهناك من هم مُقدر لهم العظمة، منذ ولادتهم تجدهم مُميزين، هؤلاء هم سبب حضارتنا، هؤلاء من يقع على عاتقهم تقدم البشرية، طفلك أحد هؤلاء، لا يمكنك أن تقف في طريق عظمته بتَربيتِه كأحد المجهولين".

التفت له «قاسم» بعدما ترك طفله مجددًا لفراشه: "هؤلاء من تطلق عليهم مجهولين، أغلبهم سعداء، يعرفهم آباؤهم وأبناؤهم، يَحيون حياة طبيعية لا زيف فيها ولا رِياء، يعلمون أن المستقبل بعيد لا سيطرة لهم عليه، لا يحبون قضاء أوقاتهم الثمينة في التخطيط له، هؤلاء الذين تُطلق عليهم العظماء، أنا أرى أنهم ضحّوا بحيواتهم الثمينة من أجل البشرية، فكافأهم التاريخ بتذكر أسمائهم، ولكن هذا كل شيء، هذا كل ما سيناله من هذه الحياة".

«الذئب» بعدم اقتناع: "أليست تلك غاية الخلود؟".

«قاسم»: "يعتمد على من تسأل".

«الذئب»: "الآن، يجب أن تحقّق ما وعدت به".

«قاسم»: "لديّ ثلاثة شروط".

«الذئب»: "أنا لا أعتقد ذلك".

تجاهله «قاسم» ثمّ أردف: "لن أعود مُجددًا لتلك الغرفة اللعينة، سأرى طفلي كل يوم صباحًا ومساءً، واعيًا، هناك بضعة أفراد قليلون يَستطيعون أن يجمعوا ما أحتاجه لتَصنيع الجهاز، أريدُ مساعدةً من مهندس آخر".

«الذئب»: "لديك كل من تريد هنا رهن إشارتك".

«قاسم»: "لا أحد منهم سوف يعلم ما أريده، من أُرِده هو من قام بالتخطيط للجهاز معي حين كنا في الكلية، يعلم بالتحديد ما أريده".

«الذئب»: "أين أجد هذا الشخص؟".

«قاسم» بتردد: "لن أخبرك أي شيء بشأنه حتى تضمنَ لي أنكم لن تمسّوه بسوء وسوف تكافئوه بالكثير من الأموال نظير خدماته".

«الذئب»: "حسنًا، أخبرني اسمه".

«قاسم»: "يُدعى «شاكر»، ستجده يعمل في المقاطعة السادسة".

لاحظ تغيّر ملامح وجهه حين ذكر المقاطعة السادسة.

سأله بفضول: "هل تعرف أحدًا من تلك المقاطعة؟".

لم يُجب عن تساؤله، قال: "هل تريد شيئًا آخر؟".

أجابه «قاسم»: "أريد أن أتواصل مع زوجتي، قلقها قد يسبب لها مكروهًا".

تجعّد وجه «الذئب» بالنّفي: "لا تستطيع التواصل مع أحد خارج هذا المبنى، يجب أن نحافظ على سِريّته".

«قاسم»: "أريد ورقةً وقلمًا".

«الذئب»: "لا أفهم، لا أحد يستخدم الأوراق الآن".

«قاسم»: "سأكتب لك قائمة بالأشياء التي سنحتاجها لبناء الجهاز".

ثم عاد وجلسَ على فراش طفلِه يُمسك بيده ويقبلها.

جاء بعدها الحارسان وقاداهُ نحو غرفة أكبر قليلًا من التي مكثَ فيها خلال الفترة المُنصرمَة وأكثر أثاثًا.

"عزيزي القارئ من المستقبل/

أرجو أن تصلك كلماتي تلك، أنا أدوّنها على أوراق الآن، لديّ فضول الأعلم هل ما زال الفيروس اللعين يتلاعب بجيناتك أم أن ما سأفعله، ما سيضحّي به طفلي، وقته وطفولته، سيحدث فارقًا، لا يمكنك التحكم في المستقبل، جزء من مُتعتِه تَكمُن في الغُموض الذي يُلاحقه، علامات الاستفهام التي تنتهي عندها كل الأسئلة بشأنه، الخلود الذي يبحثون عنه لطالما كان صعب المنال ويجب أن يظل هكذا، وإلا سيفقد الماضي والحاضر قيمتَه...

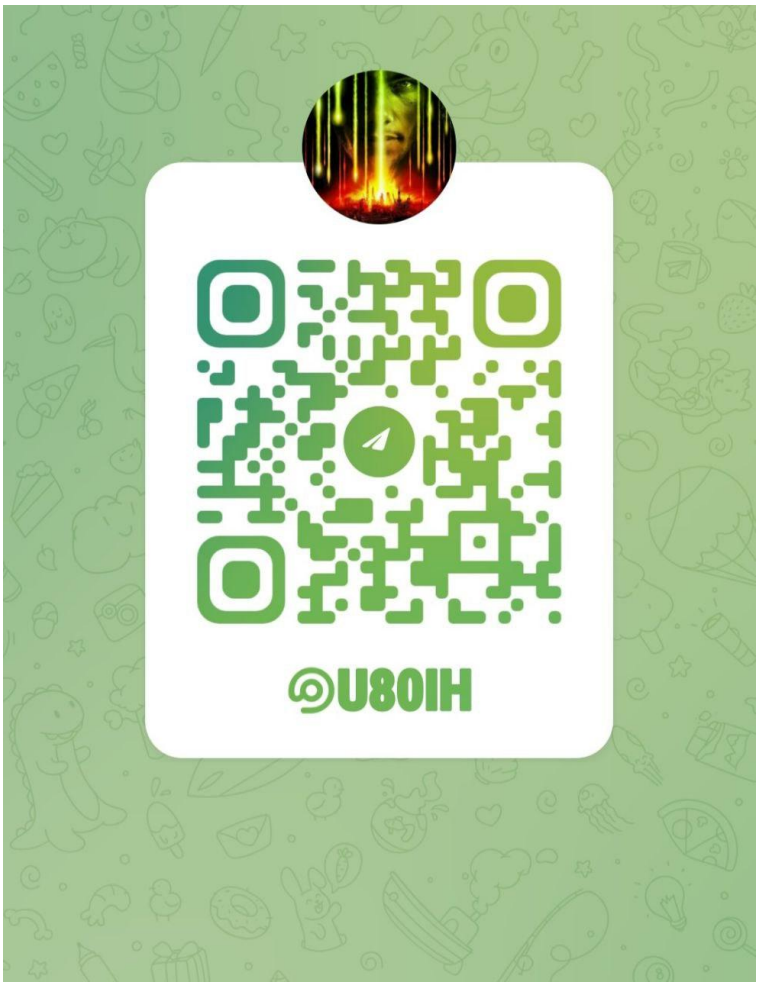

أرَق

حاولت أن تستعيد حياتها في القصر مجددًا، جفاها النوم لليالٍ طويلة، حتى السُّويعات التي كانت تغفل خلالها في شقتها الصغيرة صارت شيئاً بعيد المنال.

خرجت من غرفتها لتجد والدها ووالدتها في نقاش حاد، ملامح وجهيهما تشع بالغضب الشديد، قادها الفضول لتعلم عمّا يتحدثان، لمحتها والدتها فنادتها.

تساءلت «روان» بقلق: هل هناك خطب ما؟ هل توصّل المحقق لجديد؟".

أجابها السيد «رمزي»: "يقول إنه علم مكان سيارته، وجدها خارج أسوار المدينة، خالية من الداخل فُتّشت ونُظّفت جيدًا".

«روان»: "ماذا يعني ذلك؟".

السيد «رمزي»: "يقول" المحقق أن ذلك يؤكّد نظرية الاختطاف، هناك من تكبد عناء تنظيف السيارة وتفتيشها للبحث عن أي معلومات قد تفيده فيها أو يبعد أنظار الشرطة والمحققين عنه".

ارتسمت خيبة الأمل على وجهها، قالت: "ماذا سيفعل الآن؟".

أومأ السيد «رمزي» يطمئنها قائلًا: "سنجدهما، لا تقلقي".

قطعت السيدة «كاريمان» صمتها الذي حاولت جاهدة التِزامه: "ألا ترى أن الأمر مثير للريبة قليلًا، أُخبرك عن الطفل في يوم، ويُخطَف بعدها خلال أسبوع، ثم يَتتبّعه «قاسم» لأحد مَباني شركتك، ربما لا تتذكر «روان» ولكن أنا أتذكر جيدًا هذا المبنى، تحدث فيه أفعال شركتك المَشبوهَة، أنت من أخبرتهم عن

حفيدك عالمًا أنهم سوف يختطفونه، هل ترى أن الأمر طبيعيّ؟ لا تكذب وتقُل إنه ليس لك علاقة بما حدث".

السيد «رمزي» بتعجب: "ليس لي علاقة بما حدث بالفعل، كيف تظنين أنني قد أفعل ذلك بـ «روان»؟".

صاحت السيدة «كاريمان» بغضب هادر: "أعماك البحث عن القوة والخلود حتى ضحّيت بحفيدك الذي تجري دماؤك في عروقه".

كانت «روان» تشك في الأمر، ولكن كلام والدتها لا يدع لها مجالًا للشك فانسابت الدموع الدافئة على خدّيها ثم قالت بخيبة أمل شديدة: "لا أصدق أن بمقدورك فعل ذلك".

صاح السيد «رمزي» بغضب: "أنا لم أفعلها، أتعلمين؟ أنا سعيد أنهم اختطفوه، هذا الأمر هو الصواب لفعله، لو أنه المفتاح لإنقاذ البشرية، ما قيمة طفل واحد مقابل كل هؤلاء الناس؟".
ثم أردف: "بعد انتهاء هذا المشروع، ستصبح الشركة الأولى للأعضاء في العالم".

صاحت بنبرةِ صوت أتلفَها إجهاشها بالبكاء المرير: "هذا مُبرّر تقوله لتُميت به ضميرك، ضميرك الذي نسيته أو تناسيته حين أخبرتهم عن حفيدك، من أجل الوصول لهدف خسيس، تريد أن تعيش للأبد، لا أصدق أفعالك الجشِعة التي تريد فقط من ورائها زيادة أرقام حساباتك البنكية، صفر زائد في آخر الرقم لن يمنحك السعادة فجأة، تستطيع قضاء بعض الوقت معه وستعرف المعنى الحقيقي للسعادة، كيف بظنك ستكون هذه الحياة الأبدية التي بنيتها بدم أقرب الناس إليك؟

يجب أن تخبرني، يجب أن تخبرني أين أستطيع إيجاده؟ أنا أموت في اليوم ألف مرة بسبب فقدانهما، لا أستطيع أن أغمض عيني قبل أن ألمسه بيدي وأضمه لصدري مرة أخرى".

لم ينطق ببنت شفة، تركهما ومضى تتصاعد حِممُ الغضب من رأسه.

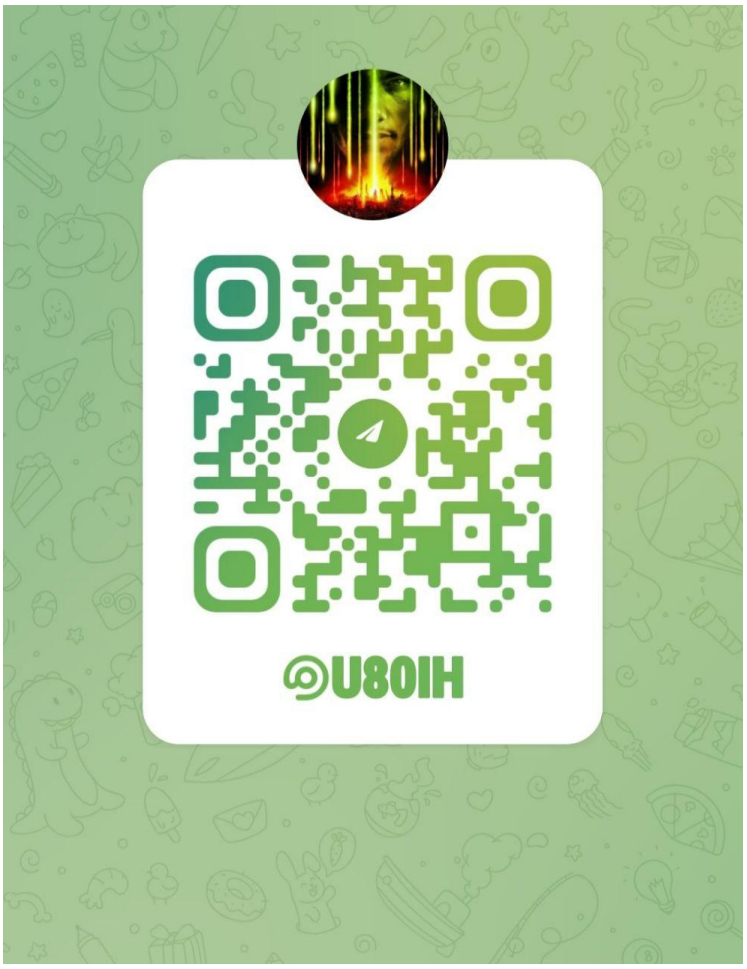

مَشروعٌ سرّي

"عزيزي القارئ من المستقبل/

هل الغاية تبرر الوسيلة؟ سؤال قد أكون بحاجة ماسّة لإجابته، هل يمكنني غضّ الطرف عن الفظائع التي تحدث حولي في هذا المبنى اللعين؟ هل يجب أن أضع نصب عيني الأهم بالنسبة لي فقط دون الأخذ في الاعتبار من يتأذى وسيتأذى من أجل إنقاذ طفلي؟ ما هو الأهم في المطلق أمر نسبي، ما هو الأهم في حياة أي شخص قد لا يكون بالضرورة الشيء الأثمن الذي يمتلكه، عند فرار طفل من غرفة تحترق ربما ما يحاول اصطحابه معه وإنقاذه هي تلك الدّمية المُقربة إلى قلبه ويترك ألعابه وملابسه وإن كانت كقيمة أثمن بكثير، الأم نفسها قد تترك ذهبها ومجوهراتها الثمينة لتحاول إنقاذ صور عائلية لوالديها الراحلين أو صور أخرى لأطفالها تحمل بين طياتها ذكريات وثيرة تخشى فقدان أثرها، من يستطيع الجزم أنني على حق في مَسعاي لتحرير طفلي؟ هل أساعدهم لمحاولة فهم السبب وراء عدم ضُمور أعضائه؟ هل أساعدهم لتصحيح أخطاء أجدادنا الذين لم ينتبهوا للإشارات العديدة التي أرسلها هذا الكوكب البائس الذي نُطلق عليه وطن؟ سأنتظر منك ردًا أعلم يقينًا أنه سيتأخر أو لن يأتي بالأساس".

في غضون أيام قليلة، جُهّز معملٌ بأحدث الأجهزة والمعدات التي طلبها في فترة وجيزة آثار انبهاره، وجد «شاكر» في انتظاره يتفحص بعضًا من الأجهزة الموجودة.

رحب به ثم قال يشوب صوته الحزن: "آسف على جَرجرتِك لهذا الأمر الخطير".

انتبه له «شاكر»، نهض للترحيب به ثم قال بتفاؤل: "أنا معرض للموت كل لحظة لأتفه الأسباب في تلك المقاطعة، على الأقل سوف أنال الكثير من الأموال هنا، هذا ترقية وظيفية هائلة بالنسبة لي".

«قاسم»: "أنت تستحق ما هو أفضل، أنا أعلم ما أنت قادر على فعله، لذلك اشترطت عليهم إحضارك".

مُحيت مسحة التفاؤل من صوت «شاكر» ثم قال: "ليس لدى الجميع رفاهية العمل الذي يتناسب مع إمكانياتهم، بعضنا يحاول فقط النجاة، يبحث عن الراتب الذي يمكنه من الاستمرار في حياته، إن لم تجد العمل المناسب لك، أي عمل قد يفي بالغرض".

لفت انتباه «شاكر» الشعار الموجود على جميع الأجهزة، عنقاء سوداء اللون تفرد جناحيها تمسك بين مخالبها زجاجة صغيرة تحتوي على سائلٍ أزرق فاتح مُشِع، وحولها دارت حروف كلمة مشروع العنقاء ثم تساءل بفضول: "هل لديك فكرة عن مشروع العنقاء هذا؟".

أومأ «قاسم» بالسّلب.

جاء هما صوت من عند باب المعمل لرجل يرتدي المعطف الأبيض الخاص بالأطباء والعلماء قائلًا: "مشروع سريّ غرضه الخلود".

اقترب منهما يحمل في يده قارورة صغيرة من الدماء ثم أردف: "أنا دكتور «ديفيد فيتر»، مدير المشروع، سوف أتابع معكما تطوّر سير العمل". ثم التفت لـ«قاسم»: أعلم أننا لم نتقابل في

أحسن الظروف، ولكن مرحبًا بكما في مشروع العنقاء (PROJECT THE PHOENIX)".

ترك القارورة على الطاولة، قال لـ«قاسم»: "هذه بعض دماء طفلك، سوف تحتاجه". ثم مضى.

بعدما اطمأن «شاكر» لذهاب دكتور «ديفيد فيتر» تساءل بفضول وقلق: "هل هؤلاء من اختطفوا طفلك؟ لماذا بحق الجحيم تريد مساعدتهم؟".

أجابه «قاسم» بأسى: "لإنقاذه، كلما أسرعت في معرفة سبب عدم ضمور أعضائه، كلما أسرعنا في الذهاب من هنا".

رَمقَه «شاكر» بنظرة يَشوبها عدم الاقتناع ولكن قال: "دعنا لا نضيع الوقت إذًا".

عَكَفا يقومان بتجميع بعض الأجزاء البلاستيكية والمعدنية لصنع الجهاز يساعدهم في ذلك روبوت متقدم يعمل بالذكاء الاصطناعي.

عندما انتهيا من عملهما لذلك اليوم عادا الشقة جُهّزت لهما.

قال «شاكر»: "لقد أحضرت ما تريد".

أشار له «قاسم» بالصمت، قام يفحص غرفتي الشقّة وصالتها بحثاً عن كاميرات تراقبهما، عندما اطمأن لخلوّها من الكاميرات وأجهزة التجسّس الأخرى قال: "رائع جدًا".

«شاكر»: "لقد تطلب مني الكثير من الوقت لأكسر تلك الشفرة التي وضعتها بين الأشياء التي تحتاجها لبناء الجهاز". ثم أخرج من بين طيات ملابسه مسدسًا بلاستيكيًا أسود يُصدر نبضات

من أمواج فوق صوتية بتردد مرتفع للغاية، التقطه «قاسم» في حماس..

تساءل «شاكر» بفضول: "ما الذي تنوي فعله بهذا المسدس؟".

أجابه «قاسم»: "سأستخدمه للهروب وطفلي من هذا المكان اللعين".

«شاكر» بتعجب: "أنا لا أفهم لماذا لا نساعدهم لتحقيق المعجزة وإصلاح الشريط الوراثي للبشر؟ الأجيال الجديدة ستكون مدينة لنا للأبد".

«قاسم» بتجهّم: "ألم ترَ الفظائع التي يفعلونها بالناس، بالفقراء الذين، أطفال، رجال، نساء، ليس هناك من هو آمن من بطشهم".

«شاكر»: "الكثير من الناس يموتون يوميًا، لقد رأيت من يقتل أخيه الأسباب أتفه من ذلك، هناك من يرتكب الجرائم من أجل بضع بلورات من اليرقات ينتشي بها لساعات قليلة، القوي يأكل الضعيف، كان وما زال القانون الذي يهيمن على الحياة".

«قاسم» بغضب: "هذه الشركات يحركها الجشَع، لا يهتمون بعلاج الناس وتحسين حياتهم بقدر اهتمامهم بالأموال التي سيربحونها أثناء ذلك، لا يمكنك الثقة في هؤلاء الأوغاد".

«شاكر»: "معظم الاكتشافات والاختراعات العظيمة التي تمكّنت البشرية من صنعها كانت لأسباب أنانية، الجشع يحرك البشر منذ الأزل، هذا لا يمحو أن حياة الناس تحسّنت بسبب تلك الإنجازات الأنانية".

«قاسم»: "أنا لا أهتم لكل ذلك، سأُماطلهم حتى أجد فرصة مناسبة للهرب، يجب أن تتوخّى الحذر كثيرًا، لا يمكنك الثقة بهم". ثم نظر طويلًا لمسدسه قبل أن يُواريه في مكان بعيد عن الأعين.

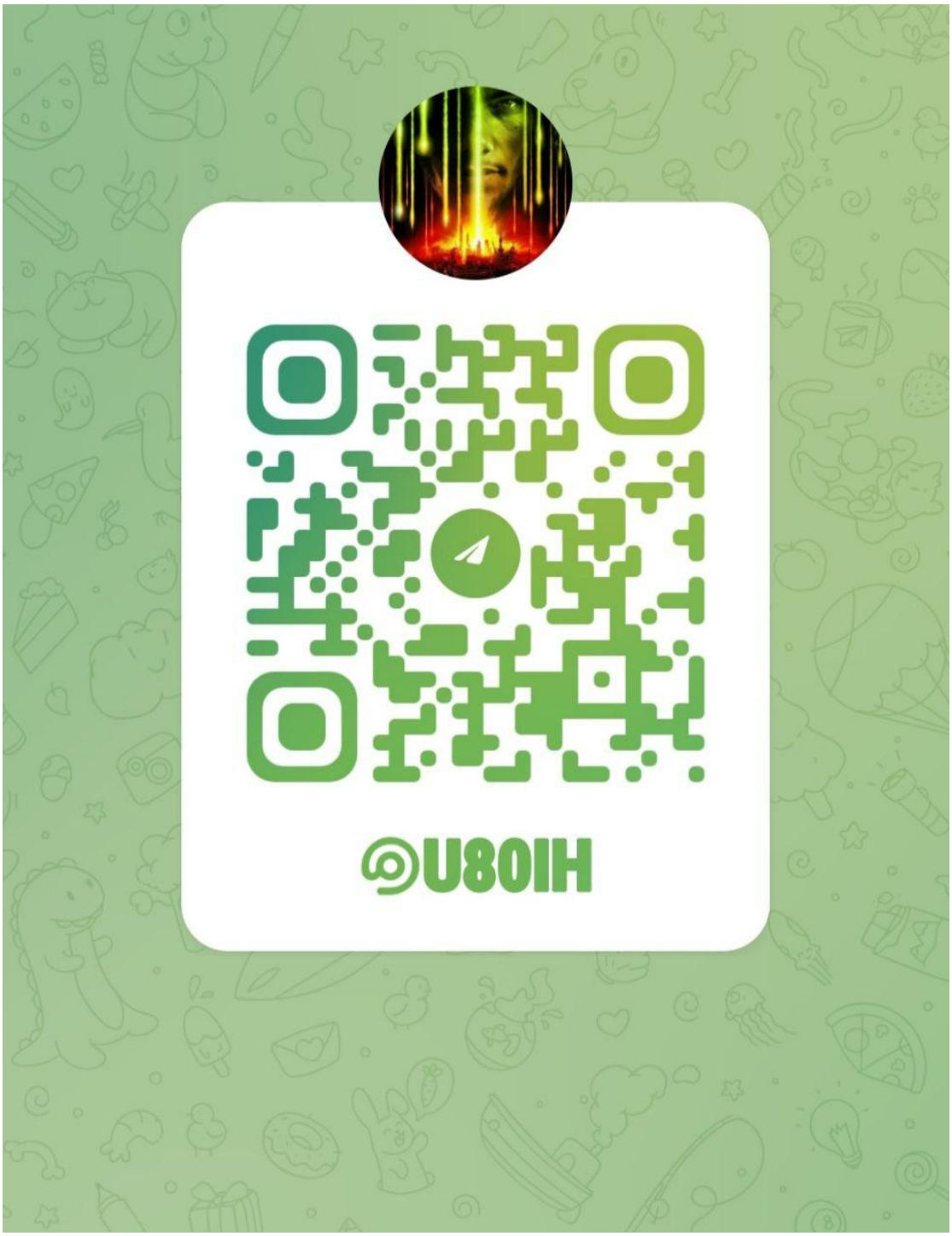

ليسَت فكرةً سيّئة

عاشت «روان» أيامًا انتابَها القلق الشديد خلالها وكذلك السيدة «أميرة» التي كانت على تواصل دائم مع زوجها دكتور «علاء» الذي لزمَ سكنَ الأطباء في المستشفى الذي يعمل به خوفًا من تهديد «الذئب» لهم.

أما «ريان» فكان سعيدًا للغاية، يكاد لا يبارح حديقة القصر، على الرغم من كونه حبيسَ بذلتهِ طوال الوقت، ولكنه شعر بحريته حين يرى العالم بعينه هو وليس من خلال كاميرا طائرته المسيرة، يشعر بجمال الأزهار وحرارة أشعة الشمس الذهبية التي كان يحدق بها كثيرًا حتى أن والدته حذّرته كثيرًا أن تحرق أشعتها عينيه الطبيعية والصناعية.

اقتربت «روان» من السيدة «أميرة» أثناء جلوسها على كرسي بجوار حمام السباحة الموجود بجوار حديقة القصر ثم قالت: "أنا في غاية الحزن للوضع الذي وصلتها له بسببنا، أنا آسفة".

التفتت لها، رمقَتها بنظرة حانية قائلة: "ليس لديك ما تكوني آسفة بشأنه، لطالما اعتبرناكما جزءًا من عائلتنا الصغيرة، «قاسم» لم يتَوانَ أبدًا عندما ندعوه أو يدعوه «ريان» الذي يُكنّ له حبًا عظيمًا، أنا من يجب عليّ التأسف لاختطاف طفلك وزوجك، أتمنى أن تسمعي عنهما أخبارًا جيدة قريبًا".

تساءلت «روان» بأسى: "هل تظنّين أنهما ما زالا أحياء؟".

نهضت السيدة «أميرة» واقتربت منها واحتضنتها قائلة: "أنا أعلم أنها ما زالا على قيد الحياة، طفلك معجزة لم نرَ مثلها طوال حياتنا، لن تتكرر كثيرًا، هؤلاء اختطفوه لأجل دراسة حالته وليس لأجل فدية أو للتخلص منه، لقد علمنا أن من

اختطفهما يعملون في شركة لزراعة الأعضاء، لأي سبب آخر سيكونون قد اختطفوهما".

«روان»: "أنا أشعر بالعجز الشديد، ليس لدي ما أستطيع مساعدتهما به".

قدم «ريان» مرتديًا بذلته يسير سعيدًا يشعر بحريته لأول مرة ثم قال: "لقد أحببت الحياة هنا، هل يمكننا البقاء لفترة أطول؟".

أجابته «روان»: "يمكننا البقاء بقدر ما نريد".

تبدّلت ملامح وجهه للقلق، قال: "هل يستطيع ذلك الرجل الوصول إلينا هنا؟ أنا خائف".

احتضنته السيدة «أميرة» وقالت يَشوبُ ملامحَ وجهِها الهلعُ لمجرّد تخيّل تلك الفكرة: "أنت بأمان هنا، لا تخف".

«ريان»: "هناك حلقة في مسلسل (محقق فوق السن) تشبه ما يحدث الآن، اختطفوه بعض الأشرار، قامت ابنتُه بتوزيع صور له في الشوارع ونشرت فيديو له أثناء اختطافه في مواقع كثيرة، وأرسلتها لعرضها في التلفاز، لماذا لا نفعل ذلك؟".

أجابته السيدة «أميرة»: "لأن ذلك قد يراه مُختطفوهما ونعرّض حياتيهما للخطر".

استغرقت «روان» في التفكير قليلًا ثم قالت: "لكنها ليست فكرة سيئة، يجب أن نفضح ما يفعل هؤلاء الذين يظنون أنهم فوق القانون".

في المساء قدم المحقق «حازم» يحتضن سيجارة بين شفتَيه السوداوَين كعادته ثم قال في حضور السيدة «كاريمان» والسيد

«رمزي»: "القطار كان متوجهًا لمدينة «كينري» في الصحراء ولكن «قاسم» لم يصل لوجهته، لا أحد يعلم كيف نزل من القطار الطلقة قبل بلوغ محطّته".

تساءلت «روان» بقلق قد غزا قسمات وجهها: "أين ذهب إذًا؟ هل قفزَ من القطار؟".

نفثَ المحقق «حازم» دخانًا كثيفًا في الهواء ثم أجابها: "هناك من أكّد أن القطار توقّف في منتصف المسافة ونزل منه بعض الأشخاص من مقصورة البضائع ثم تابع سيره مجددًا، ربما كان زوجك أحد هؤلاء".

فجأة تذكر السيد «رمزي» شيئًا ما وقال: "ربما أعلم أين احتُجِزوا".

تعلقت به كل الأنظار ثم أردف: "لدى شركة «روبوبارت» مبنى أبحاث عملاق في الصحراء، ربما يكون قد توجه لهناك حتى ينقذ طفلكما".

«روان» بلهفة وفضول شديدين: "كيف نصل لذلك المبنى؟".

السيد «رمزي» بعد تفكير عميق: "لقد ذهبنا إلى هناك بطائرة خاصة، لا أستطيع تحديد مكانه بدقة وسط تلك الصحراء الشاسعة".

تدخلّت السيدة «كاريمان» بقولها: "هذا لا يهم، هناك طرق أخرى التحديد مكان ذلك المبنى، حتى لو توجّه لهناك وقُبضَ عليه، سوف يبقون على حياته لأنهم يعلمون من هو".

أصابت «روان» خيبة الأمل، تساءلت: "لم لا نخبر الشرطة؟".

أجابها السيد «رمزي»: لن تواجه الشرطة شركة «روبوبارت» لأي سبب، بالتأكيد ليس لتحرير طفل واحد، أغلب قيادات الشرطة على قوائم رواتب الشركة".

قالت السيدة «كاريمان»: "لن تتحرك الشرطة تجاههم إلا إن كان البديل فوضى عارمة في كل مكان".

أصيبت «روان» باليأس الشديد من حديث والديها، غادرت قاصدة غرفتها، رفعت فيديو لطفلها على كل منصات الإنترنت وألحقته بفيديو لها تقول فيه: "هذا طفلي، «سيف»، عمره ثلاث سنوات، سيُكمل سنتَه الرابعة خلال شهور قليلة، ولد بدون عيوب خلقية، بلا ضمور في أي من أعضائه، اختطفتْه شركة «روبوبارت»، ذهب زوجي للبحث عنه فاختَطفَته الشركة هو الآخر". سالت دموعها ثم أردفت: "لا أعلم شيئًا عن مصيرهما". ثم استلقت على السرير تبكي بكاءً مريرًا حتى غالبها النّعاس.

استيقظت في اليوم التالي، وجدت ملايين المشاهدات على الفيديو الذي رفعته، انتشر الفيديو على كل منصات الإنترنت كالنار في الهشيم تحت وَسْم #الطفل_المعجزة.

انقسمت آراء الناس بين من يسبونها بأفظع الشتائم لأنانيتها وحرصها على حرمانهم من المعجزة، هؤلاء من يختبئون خلف شاشاتهم، يسبّون من أرادوا لأنهم ضمنوا سلامتهم وأمانهم، لن يستطيع أحد أن يمسّهم بسوء، لن يستطيع من يسبّونهم أن يصلوا إليهم ويردون الإساءة، وهناك من تعاطف معها وطالب شركة «روبوبارت» بإعادة طفلها وزوجها إليها سالمين.

بعد وقت قصير وجدت والدها يقتحم غرفتها يشتعل بالغضب يصيحُ بصوت هادر: "ما هذا الذي فعلتيه؟ الجميع ثائر،

يطالبون بمقاطعة الشركة، لقد حميتك وأصدقاءك بمنزلي، هكذا يكون رد جميلي!".

أجابته تصرخ بصوتٍ اجتاحَه الغضب: "أنا ابنتك، إن لم آتِ إلى هنا، إلى أين سأذهب؟ شركتك من اختطفت عائلتي، ليس لديك الجرأة لمطالبتها بتحريرهم، ليس لديك احترام لي ولا لرغباتي حين تزوجت «قاسم»، أراهن أنك كنت سعيدًا للغاية حين علمت بشأن اختطافهما، ربما ما قالته والدتي صحيح، لقد كنت أنت من أمرت باختطافهما، لأعود إلى هنا حتى يَتسنى لك إقناعي بإدارة شركاتك". ثم أردفت: "سأذهب من هذا المنزل، سأعود مجددًا لشقتي، سأنتظر رجالك أن يأتوا لقتلنا إن كان هذا سيجعلك سعيدًا".

لم يُجبها، غادر سريعًا، قابل السيدة «كاريمان» عند الرّدهَة خارج الغرفة، حاولت سؤاله عن سبب غضبه ولكنه تخطّاها وذهب، دلفت لغرفة «روان» تسألها: "هل هناك خطب بشأن والدك؟ ماذا حدث؟ أين هو ذاهب؟".

أجابتها «روان»: "لا أعلم، ربما ذهب لاحتواء الكارثة التي أحللتُها بشركته اللعينة".

تساءلت السيدة «كاريمان» بفضول: "ماذا فعلتِ؟ لِمَ ستغادرين؟".

لم تجبها «روان»، اكتفت بتشغيل الفيديو التي قامت برفعه على الإنترنت وغادرت الغرفة.

احتِواءُ الكارثَة

كان «قاسم» يمارس هوايته بالتنصّت على ما يحدث داخل المبنى، ما يقوله العاملون، عسى أن يعلم شيئًا يساعده في تشكيل خطة هروبه، لأيام لا شيء، مجرد أحاديث تافهة حتى أتى صباح كان يسمع صوت زوجته يتردد خلال هواتفهم المحمولة، سمع ما قالته في الفيديو، وسمع تعليقات العاملين على ذلك المقطع وكانت كلها تتراوح حول كارثة كبيرة أحلّت بالشركة التي حتى المساء لم تصدر بيانًا للرد على تلك الاتهامات خصوصًا عندما شاهدوا ردود أفعال الناس على جميع المنصات.

في صباح اليوم التالي عندما أتى رجال الأمن لاقتيادهما إلى المعمل الذي جُهّز لهما، تساءل «قاسم»: ما الذي يحدث؟ لم ذلك الهدوء غير المألوف؟".

أجابه أحدهم: "السيدة «أمنية» على وشك الظهور على التلفاز للردّ على ما قالته زوجتك".

ارتسم على وجه «قاسم» القلق الشديد، قال بجَهل مصطنَع: "ما الذي قالته زوجتي؟".

أجاب رجل الأمن الآخر: "ليس عملنا إخبارك".

قال «قاسم» بغضب مُصطنع: "من يستطيع؟".

كانوا قد وصلوا المعمل، قام رجل الأمن بتمرير شارته ففُتح الباب إثر ذلك، دلف «قاسم» و «شاكر»، قبل إغلاق الباب خلفهما، طلبَ رؤية «الذئب» فأوما أحد رجال الأمن أنه سيخبره.

حين أصبحا بمفردهما تساءل «شاكر» بفضول وقلق شديدين: "ماذا يحدث؟ ماذا فعلت زوجتك؟".

أشار له بالصمت بينما يزيد من القدرات السمعية لأذنه، كان المؤتمر الصحفي للسيدة «أمنية» قد بدأ بالفعل، سمعها تقول لتجيب سؤال أحد الصحفيين الذي لم يدرك سؤاله: "نحن دائمًا ما نبحث عن جينات فائقة تمكننا من تحسين حياة جميع عملاء شركتنا، ليس دائمًا ما يكون الأمر جميلًا، التقدم الإنساني لم يكن سريعًا أو جميلًا، ولكن يقع على عاتق القادة فعله على أية حال".

سأل أحد الصحفيين الآخرين: "ما مدى صحة ما قالته السيدة «روان الصالحي»؟".

أجابته السيدة «أمنية»: "ليس لدينا مختطفين حاليًا في أي من مقرّات الشركة، نحن لَسنا جهة لتنفيذ القانون، نحن شركة استثمارية تعمل على نطاق واسع في الكثير من بلدان العالم".

سألها صحفي آخر: "إذن، أين هما؟".

أجابته السيدة «أمنية»: "حقيقةً لا أعلم، كما قلت، نحن لسنا جهة تنفيذ القانون".

سأل صحفي آخر بخُبث: "لماذا ستدّعي السيدة «روان» أمرًا كهذا إن لم تكن متأكدة تمامًا من صحّته؟".

أجابته السيدة «أمنية» بهدوء لازمها طوال المؤتمر: "يجب أن تسألها في هذا الأمر، السيد «رمزي الصالحي» أحد أعضاء مجلس إدارة الشركة الذين عاصروا كل مراحلها وأزماتها السابقة، ربما يكون الأمر له علاقة بانتقام حدث بينهما، لا أعلم، ولكن

ما أعلمه أنني لن أدّخر مجهودًا لإثبات كذب ادّعائاتها، شكرًا للجميع".

أراد صحفيون آخرون طرح أسئلتهم ولكنها تركت المنصّة وغادرت القاعة...

تساءل «شاكر» بفضول وقلق: "ماذا يحدث؟ أنا لا أفهم شيئًا".

أجابه «قاسم»: "ما حدث سيُجبرني على الإسراع في تنفيذ خطتي".

تابع الاستماع بعد ذلك لتعليقات المذيعين ومقدمي البرامج على التلفاز على ما قالته السيدة «أمنية» في مؤتمرها وتنصّت على تعليقات العاملين في الشركة بينما انهمك بمساعدة «شاكر» في بناء الجهاز.

بعدما انتهى عمله لذلك اليوم أعاده رجال الأمن لغرفته بعدما عرج وقضى بعض الوقت المشحون بالمشاعر مع طفله الذي تكون سعادته بالغة عندما يرى والده..

عندما بلغ غرفته أمسك بورقته وقلمه وكتب..

"عزيزي القارئ من المستقبل/

العالم تحكمه الأسرار، من يَحوزُ الثروة والقوّة والسّلطة هؤلاء الذين يحرّكون الدُّمى من خلف الستار، يأتمِر الرّؤساء والوزراء بأمرهم دون أن يكون هناك حاجة أن يظهروا وجوههم، أسرار لا تعرفها الشعوب، أو ربما لا تريد معرفتها، تريد الإيمان أنه ليس هناك شيئًا خلف الأفق، هم بحاجة لمن يلقوا عليهم جامّ غضبهم حين يفشلون، حين يجوعون ويَظمؤون، حين يمرضون ويموتون، حين تتحول حيواتهم للأسوأ، حين تتراكم عليهم

الديون، حين يتقاتلون على الفُتات في ذلك العالم المُزري، حتى تمكّنوا من كبحِ جِماح ثورتهم خلال سعيهم الدّؤوب لإشباع غرائزهم.

عزيزي القارئ من المستقبل/

نحن نخوض معركة شرسة لا نعلم بوجودها من الأساس، معركة الوعي، لقد هزمنا قبل أن ننال فرصة للقتال، إنهم لا يخافون منا بالقدر المطلوب، لا يخافون أن يكذبوا علينا كلما تحركت ألسنتهم، لا يخافون ممن بمقدورهم التحكم بهم، يتحكمون في كل تفاصيل حياتنا، يتحكمون بما يصلنا من المعلومات عن طريق آلة إعلامية هائلة، يتحكمون بنا بجعل حَيواتنا قاسية حتى لا نجد وقتًا للتفكير في رفاهيات كحرية الكلمة، حرية الحركة في بلدنا الفسيح، حرية أن تنال قدرًا من الراحة لوقت طويل فلا تموت أنت ومن تعولُ جوعًا.

عزيزي القارئ من المستقبل/

يجب أن تَعي بوجود تلك المعركة، الكثير يصدقون الأكاذيب، الأكاذيب التي يتفنّن البعض في نسجها، ويدافعون عنها باستِماتة، قد يجد أمامه دليلًا قاطعًا على زيفها، ولكن الأكذوبة قد تَغلغلَت في وَعيِه وكيانه فيرفض تصديق الحقيقة، يرفض حتى التصديق باحتمالية صوابها، وربما يقف أمام الحقيقة بكل ما أوتي من قوة ويمنع وصولها للناس ويحارب مُصدّقيها، يستثمر وقته وثروته لمنع نشرها، أكثر ما يخيفهم، ربما أكثر من الأسلحة، يخشون وعي الشعوب، يخشون حرية الكلمة، يخشون أن تنتشر الحقيقة بين الناس ويشعّ نورها".

اجتماعٌ عاجلٌ في مَجلس الإدارَة

كان التّوتُّر يسود الشركة أثناء اجتماع طارئ لجميع أعضاء مجلس الإدارة..

قال أحد الأعضاء يكسو صوته الغضب: "ماذا حدث بحقّ الجحيم؟ الجميع غاضبون منا، أنا لم أصدق كلمة مما قلتيها في ذلك المؤتمر".

تحدّث السيد «رمزي» بهدوء: "كرر الكذبة كثيرًا حتى يصدقها الجميع، حينها تصبح حقيقتهم وواقعهم".

ثار عضو آخر وصرخ قائلًا: "ابنتك هي من تسبّبت في تلك الكارثة، أسهمنا خسرت كثيرًا في البورصة بسبب ما قالته".

رد السيد «رمزي» بغضب: "لقد أبقتنا «أمنية» جميعًا في الظلام، لم تخبرنا ما تنوي فعله، أرسلت «الذئب» ليختطف حفيدي، وكأن ذلك ليس كافيًا، اختطفت والده حين ذهب للبحث عنه، لا يمكنك لوم ابنتي على أخطاء اقترفتها «أمنية»".

كانت السيدة «أمنية» صامتة طوال الوقت تراقب ما يقولون، حينما انتهوا وصمت الجميع، تعلقت الأنظار جميعًا بها عندما نطقت أخيرًا: "نحن على أعتاب تغيير العالم، تحقيق المعجزة التي طمحت إليها البشرية منذ ظهور ذلك الفيروس اللعين".

قاطعها السيد «رمزي»: "هذا لا يهم الآن، يجب أن تعترفي بما فعلت، وأن تَتنحّي عن منصب رئيس مجلس الإدارة قبل أن نفقد الشركة بلا رجعة".

صمتت السيدة «أمنية» قليلًا، لمست هاتفها ثم قالت: "لقد بنى والدي هذه الشركة من لا شيء، ليس هناك من هو أحقّ مني بإدارتها، لن أستقيل قبل لحظات من تحقيق أهم إنجازات الشركة منذ إنشائها، الناس سينسون ما حدث، دائمًا ما يفعلون، سينشغلون بالشيء القادم، لقد فعلنا ذلك مرارًا، إن لم يحدث أمر يشغلهم بطريقة طبيعية، تفتعل أمرًا ما".

بعدما أتمّت حديثها، فُتح باب الغرفة ودلف «الذئب»، التفتوا جميعًا نحوه وتهامسوا فيما بينهم عن سبب وجوده في اجتماعهم الطارئ السري، وقف بجانب السيدة «أمنية» التي قالت: "«الذئب» هنا لحمايتنا جميعًا، للتخلّص ممن يحاولون تدمير الشركة". ثم نظرت للسيد «رمزي».

صاح السيد «رمزي» بغضب: "والدك لم يكن ليفعل ذلك، سأجعلك تندمين على مجرد التفكير في تهديد «رمزي الصالحي»".

ثم نهض وتوجّه للباب وغادر بعدما دفعه بعنف.

تابعت السيدة «أمنية» قولها: "أنا لم أثق به يومًا، هو من جعل ابنتَه تنشر تلك الإشاعات عن الشركة، لكن سوف نتجاوز تلك المِحنة ونعبر خلالها أقوى".

سرَت الهمهمات بين باقي أعضاء مجلس الإدارة الذين وافقوا كلامها بعضهم مقتنعًا والأغلب قد أصابته رعدة من وقوف «الذئب» بجانبها.

همست السيدة «أمنية» لـ «الذئب»: "أريد أن تُحضرَه إلى هنا غدًا في الصباح، لقد استهنّا بهم، هذا لن يمرّ بدون عقاب".

أومأ «الذئب» قائلًا: "حسنًا سيدتي".

كيف الهروب؟

كان «قاسم» مُنهمكًا في تركيب إحدى القطع المعدنية في مكانها داخل جهاز الاستنساخ عندما قدم «الذئب» مُكفهرّ الوجه يقول: "أنا قائد أمن الشركة من سنين، لم أشهد كارثة كتلك التي تسببت بها زوجتك، ما قالته تسبب بصدمة للرأي العام وظهور مظاهرات في بعض المقاطعات ودعوات المقاطعة الشركة".

ترك «قاسم» ما كان يفعله ثم قال: "هذا خَطؤكم، لقد رفضتم أن تجعلوني أتواصل معها، هذا الأمر على عاتقكم أنتم".

قاطع «شاكر» حديثهما قائلًا: "لكل مشكلة حلّ، يجب أن تبحث جيدًا".

التفت «الذئب» وتساءل: "ما الذي ترى أنه سيكون حلًا مناسبًا لتلك الكارثة".

أجاب «شاكر»: "يجب أن تدعَه يتواصل معها، ويخبرها باتفاقكم، ويقوم بإقناعها بالخروج مجددًا وتبرئة الشركة من الاتهام المُوجّه إليها".

وجه «الذئب» سؤاله لـ«قاسم»: "هل بمقدورك فعل ذلك؟".

أجابه «قاسم»: "ما المقابل؟".

لم يُجبه «الذئب»، توجه نحو باب المعمل ثم قال: "اتبعني".

توجّها لمكتب السيدة «أمنية» التي كانت في حال يُرثى لها، تتابع الأخبار وما يقال بشأنها على المنصات المختلفة، تعلم أن شركتها قد تنهار قبل أن تنالَ هي فرصة لإثبات جدارتها.

حلفا لغرفة المكتب، ساد التّوتر والصمتُ لهُنيهَةٍ قطعَه «الذئب» بقوله: "يجب أن نسمح له بالتواصل مع زوجته وإقناعها بالتراجع عما قالته".

تبدلت ملامح التّجهّم التي افترشت وجه السيدة «أمنية» لابتسامة ساخرة ثم قالت: "لا أعتقد أن هذا سيغير أي شيء، الأمر الثابت الوحيد شات الإنترنت أنه ما عليه سيبقى موجودًا للأبد، ربما يغفل الناس عنه بعد ذلك، ولكن الإنترنت لا ينسى، تبقى عليه الفضائح والمصائب تُذكِّر أصحابها بمدى هَولها، أما الإنجازات تَندثر أخبارها تحت طوفان الأخبار السلبية".

تساءل «الذئب» بفضول: "ما الحل؟".

أجابته «أمنية» بينما تنظر ل«قاسم»: "الحل أن تظهر فضيحة تغطّي على سابقتها، أو إنجاز بالضخامة التي تجعله يحتلّ الصفحات الأولى من جميع المواقع الإخبارية، كنجاح شركة «روبوبارت» في استنساخ الأجزاء المَعطوبة من الشريط الوراثي وإصلاحه، القضاء على الآثار الكارثية للفيروس، تحرير البشرية من قبضته للأبد".

«قاسم»: "الأمر ليس بالبساطة التي نرجوها، عندما نمتلك الجهاز الذي يمكننا من نسخ الشريط الوراثي الخاصة بكل مرض، وإصلاح الشريط الوراثي، ما الخطوة التالية؟".

أجابته السيدة «أمنية»: "هذا ليس من شأنك، زوجتك أجبرتنا على تعديل المسار الزمني للمشروع، أمامك عشرة أيام، إن لم تنجح في الوفاء بوعدك، سأقتل طفلك وأتخلّص منه، ليست هناك جريمة إن لم تكن هناك جثة".

انتاب «قاسم» الهلع الشديد، ليس لديه شك أنهم بالقسوة التي تجعلهم يقتلون الأطفال بدم بارد، لم يجد ما ينطق به، تلجّم لسانه، توقفت الكلمات عند شفتَيه.

أشارت السيدة «أمنية» لهما بالانصراف.

عَكفَ «قاسم» يعاونه «شاكر» في الأيام التالية يعملان على مدار الساعة، كانا يَبيتان في المعمل معظم الوقت، لا ينالا من اليوم إلا سُويعات قليلة للراحة والأكل.

تساءل «قاسم» في أحد الأيام: "هل ما نفعله هو الصواب؟".

أجابه «شاكر» بعدما ترك ما كان مشغولًا بفعله: "الصواب والخطأ أمر نسبي، القنبلة النووية خطأ، لكننا تمكنّا من حصد الطاقة النووية والاستغناء عن الوقود الأحفوري من البترول والغاز الطبيعي للأبد، لذلك نحن ندين لـ «أوبنها يمر» ومشروع منهاتن للأبد بسبب صنعها".

«قاسم» بفضول وقلق: "أنا أقصد الآن، مساعدة تلك الشركة برغم من الدماء التي على أيديهم، قسوتهم في التعامل مع الفقراء، هذا لا يمكن أن يكون صوابًا".

«شاكر»: "لا يمكنك أن ترى جانبًا دون الآخر، التقدم البشري دائمًا ما أتى بأثمان باهظة، ما نفعله يهمّ، ما تضحي به يهمّ، حتى لو كان طفلك، البشرية تستحق التضحية من أجلها".

«قاسم»: "أنا لا أعتقد ذلك، لا أصدق أن هذا يكون رأيك في حين أنك عشت سنينًا بين هؤلاء الذين يضحون بأي شيء من أجل حفنة من البلورات المخدّرة التي قد تقتلهم".

«شاكر»: "هذا بالتحديد سبب قولي إنهم يستحقون الخلاص، يستحقون الإنقاذ، لقد رأيت ما خلف تلك الطبقة القاسية،

رأيت فيهم إيثارهم وروعة قلوبهم، حين نفقد فيهم الأمل، ينحدرون أكثر نحو غرائزهم الحيوانية، وهذا ما تريده تلك الشركات اللعينة، هم آمنون طالما يضعون نصب أعينهم البحث عن لُقمة عيشهم لا شيء أبعد من ذلك، لطالما كانت لدي قناعة أن تعليمهم، حتى تعليم واحدٍ منهم قد يصنع الفارق، إنقاذ واحدٍ منهم قد يغير طبيعة الحياة التي نعيشها".

«قاسم»: "كيف ما نفعله الآن يغير أي شيء؟".

«شاكر»: "ربما ليس مباشرة ولكن إصلاح الشريط الوراثي سيساهم أن تقل هَيمنَة الشركات الكبرى على هؤلاء الفقراء، حينها سيمنحون الحرية لتقرير مصائرهم".

«قاسم» بغير اقتناع: "أنا لا أعتقد أنهم سيسمحون لهم أن ينالوا حريتهم، سيكون ذلك سيفًا آخر موضوعًا على رقابهم، أملًا قد يكون بعيد المنال، تحتفظ به تلك الشركات ولا تمنحه إلا لمن تريد، للأثرياء ومن يستطيع تحمّل ثمنه". ثم أردف: "حتى لو نجحنا بتنفيذ ما يريدون ونجحنا في الخروج من هنا بمعجزة، إن كنت أردت لطفلي حياة طبيعية من قبل، سيكون ذلك من المستحيل للغاية الآن بعد كل ما حدث".

بعد تفكير عميق لم يجد «شاكر» ردًا لما قاله «قاسم».

قضى «قاسم» مساء أحد الأيام اللاحقة في زيارة لطفله، كان فاقدًا الوعي، في الغرفة معه أحد الأطباء وواحد فقط من رجال الأمن.

تساءل «قاسم»: "أين «سعيد» اليوم؟".

أجابه رجل الأمن: "استُدعيَ في أحد الأدوار العلوية".

مرت دقائق تردّد فيها «قاسم» كثيرًا ولكن أخيرًا استجمعَ شجاعتَه، أخرج مسدس النبضات البلاستيكي وأطلق على رجل الأمن على حين غفلة سقط على الأرض مغشيًا عليه، انتبهَ الطبيب فرفع يديه حتى لا يطلق عليه من مسدسه.

قال «قاسم» بتهديده: "أَعطِه حُقنة مُخدّرة".

جهز الطبيب الحقنة بيدين ترتعشان ثم أعطى رجل الأمن الحقنة.

اقترب «قاسم» من الطبيب وقال: "الآن أعطِ نفسك ذات الحُقنة".

يتردد نفّذ الطبيب ما قال وفقد الوعي.

بدّل «قاسم» ملابسه وارتدى ملابس الطبيب ونزعَ سوار رجل الأمن، وضع طفله على أحد الكراسي المتحركة، خرج يتَسلّل متوخيًا الحذر حتى لا يراه أحد، بلغ المصعد وفتحه باستخدام سوار رجل الأمن، كانت هناك إحدى الممرضات نزلت في الطابق التالي، ضغط على زر الطابق الأخير، توقف المصعد فجأة قبل بلوغ الطابق المحدد، سمع صوت إنذار يُدوّي في كل أركان المبنى، أيقن أنهم علموا بهروبه، خرج من المصعد، زاد من قدرته على التِقاط أخفَت الأصوات خلال أذنه الصناعية حتى يسمعهم حين يقتربون، سار في رَدهةٍ طويلة فارغة من أيّ شيء، سمع اثنين من رجال الأمن يتحدثان قادمين تجاهه، دخل في أقرب غرفة وجدها، كانت غرفة غاية في الاتّساع، ضَوؤها مُغلقًا، فتح تلقائيًا عندما سار خطوتين داخلها، رأى الكثير من الحضّانات مثل التي رآها في معمل دكتور «ديفيد فيتر»، المئات من الأجنّة موجودة داخل تلك الحضّانات بجوارها شاشات إلكترونية تصدر طنينًا منتظمًا تراقب

عملياتهم الحيوية، سار بجوارهم، وجد مكتوبًا في المعلومات الخاصة بكل حضّانة اسمًا لأحد المغنيين أو الممثلين أو رجال الأعمال الأثرياء، سمعَ رجلَي الأمن يقتربان من الغرفة، اختَبأ خلف إحدى الحضّانات.

دلفَ رجلا الأمن للغرفة شاهرَين مسدّسَيهما، ينظران يمينًا ويسارًا يراقبان شاشة هولوجرام توضح لهم موقع «قاسم»، رآهم «قاسم» من بعيد، أدرك أنهما يعلمان مكانه خلال سوار رجل الأمن الذي أفقده الوعي في غرفة طفله، خلعه بهدوء، رماه بعيدًا وانتظرهما، وجد أحدهما السوار ملقى على الأرض، التقطه فضربه «قاسم» بمسدس النبضات خاصّته وأسقطه فاقدًا الوعي، سمع رجل الأمن الآخر صوت ارتِطامه بالأرض فأسرع بالقدوم، حينها استغلّ «قاسم» الفرصة وهرب ولكن

ليس قبل أن يلتقط سوار رجل الأمن فاقد الوعي، أسرع نحو الباب ثم أغلقه من الخارج، سمع رجل الأمن يتحدث خلال هاتفه لرجال الأمن الآخرين يخبرهم مكان «قاسم» الذي حمل طفله وأسرع صاعدًا السلم الطويل للسطح، وجد الكثير من رجال الأمن يلحقون به قبل طابقين ركض يتخطى درجات السلم الضيق حتى وصل لباب في آخره، مرر سوار رجل الأمن ففتح، خرج من الباب، أطلق بمسدسه على قفل الباب الإلكتروني بمسدس النبضات فانصهر، وجد نفسه داخل غرفة فارغة قديمة للغاية ذات باب خشبي مهترئ، خرج من الباب فصعقه ما رأى، يجد في الأفق في جميع الاتجاهات غير صحراء خالية، ركض كأن الموت يلاحقه حاملًا طفله ليبتعد عن ذلك المَبنى المخفي تحت الأرض.

ركض لساعات، ابتعد كثيرًا، نظر خلفه فلم يجد أحدًا يلاحقه، كان النبيل قد انتصف، وقف في الخلاء، نظر في جميع الاتجاهات، لا شيء، لا احده لا حياة على مدى بصره، ركض مجددًا، لساعات لا يتوقف، حل الصباح، خانته قدماه، خارت قواه، أفاق طفله وظلّ يبكي بكاءً مريرًا، حاول تهدئته، جسده يتوقُ لرشفة ماء يُطفئ بها لهيب الصحراء، انتصفت الشمس السماء بينما هو في مكانه، مُختبئ خلف صخرة، يناجيها، كيف تستطيع البقاء؟ كيف تستطيع الصمود؟ ينظر للسماء، يناجي ربه، يرى الطائرات المسيرة تجوب الصحراء تبحث عنه، يتوارى عندما تقترب منه بوَميضِها، حلّ الليل عليه، فقد «سيف» الوعي من فرط تعبه.

زاد الصّقيع، بردَت أنامله حتى تجمدت، احتضن طفله حتى اعتصرَه.

أخرج ورقة وقلمًا من جيبه، كتب بآخر طاقة يدّخرها جسده..

"عزيزي القارئ من المستقبل/

أأتمنك على آخر كلماتي، ماذا تفكر حين تكون قريبًا من الموت؟ حين تراه في الأفق، فقط تنتظر مصيرك المَحتوم، فيم يفكر «سيف»؟ هل سيتذكر ذلك اليوم إن قُدّرت لنا النّجاة من تلك الأمواج الصفراء المتلاطمة، لقد تسلّل اليأس لقلبي، اصطحب معه مُعاناة السنين، يتألم جسدي بكل الضربات التي تلقيتها من قبل، تتألم روحي بكلّ الخذلان الذي لاقيتُه خلال حياتي، يعتصر قلبي لرؤية طفلي فلذة كبدي يبكي حتى يفقد وعيه.

هل الموت نهاية العذاب أم بداي..

سقطَ القلم، أغشى عليه قبل أن يتم كتابة آخر حروف كلماته، أُغمضَت عيناه دون أن يعلم إن كان سيَفتحها مرة أخرى.. أم لا.

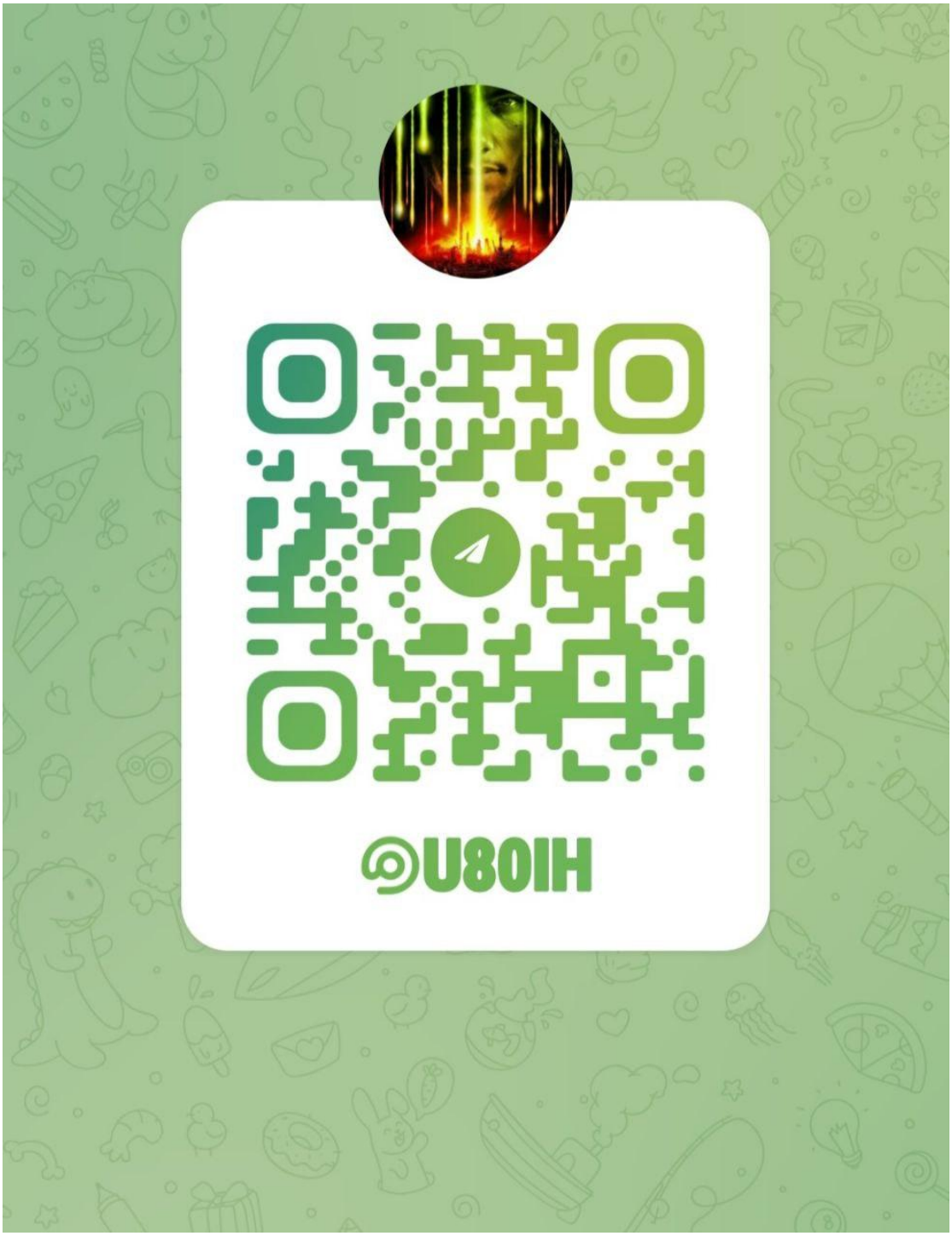

الخائن

مرت «روان» بجوار غرفة والدتها، سمعت صوتًا مألوفًا، اقتربت وتنصّت عند الباب فوجدت والدتها تتحدث مع الرجل الذي أمسك بطائرة «ريان» المسيرة وهدّدهم بقتلهم.

تَسلّلت للغرفة في غياب والدتها، وجدت حاسوبها الشخصي محميًّا بكلمة سر، حاولت فتحه باستخدام أرقام عشوائية كتاريخ ميلاد والدتها أو والدها أو يوم زواجهما أو يوم ميلادها هي، لم ينجح أي من تلك الأرقام، جربت أخيرًا تاريخ ميلاد أخيها «سيف»، تمكنت من فتح الحاسوب أخيرًا.

وجدت مقاطع فيديو صوّرتها والدتها بعينها الصناعية على مدار السنين، شاهدت السيد «رمزي» سعيدًا يوم وفاة رئيس مجلس الإدارة لشركة «روبوبارت» السيد «علي العبادي» يُخبرها رغبته في السيطرة على الشركة، مقطع فيديو آخر لتواصلها مع السيدة «أمنية العبادي» لتحذيرها من مخطّط السيد «رمزي»، التواصل الذي لم يتوقف بعد نجاحهما في إحباط خطّته، واستشارة السيدة «أمنية» للسيدة «كاريمان» في الكثير من الأمور التي تخص إدارة الشركة، وترشيح السيدة «كاريمان» الرجل الذي هددهم بأن يكون قائد فرق الأمن في الشركة.

وجود «الذئب» بعد ذلك ضمنَ للسيدة «كاريمان» الاطّلاع على جميع أسرار الشركة، يخبرها أولًا بأول عن أفعال السيد «أمنية» التي كانت تريد الاستقلال برأيها في وقت ما، قامت بتخطي المقاطع حتى وصلت للمقطع الذي صوّرت فيه والدتها طفلها «سيف» بدون اليد السيلكونية ثم ركّبتها مرة أخرى، حتى قامت بادّعاء مُصادفة سقوطه في يوم من الأيام اللاحقة، انفلقَ قلبها وتخشّب جسدها من الصدمة حين شاهدت مقطعًا

لوالدتها تخبر فيه السيدة «أمنية» عن طفلها «سيف» وتطلب منها اختطافه، المقطع التالي لم تكن والدتها من صورته، لقد كان «الذئب» لحظة اختطاف «سيف» وإفقاده الوعي واقتياده لمبنى الشركة في مدينة «جلوري»، حاولت تمالك أعصابها والبحث عن المقاطع التالية، ولكنها جّمدت الشاشة على صورة طفلها الذي تُقطّع قلبها رؤيتُه يُختطَف من قبل والدتها.

شاهدت النقاش الحاد الذي كان بين والدتها ووالدها يقول لها: "أنتِ تتلاعبينَ بقوى لا تفهمينها، لن تستطيعي السيطرة عليها".

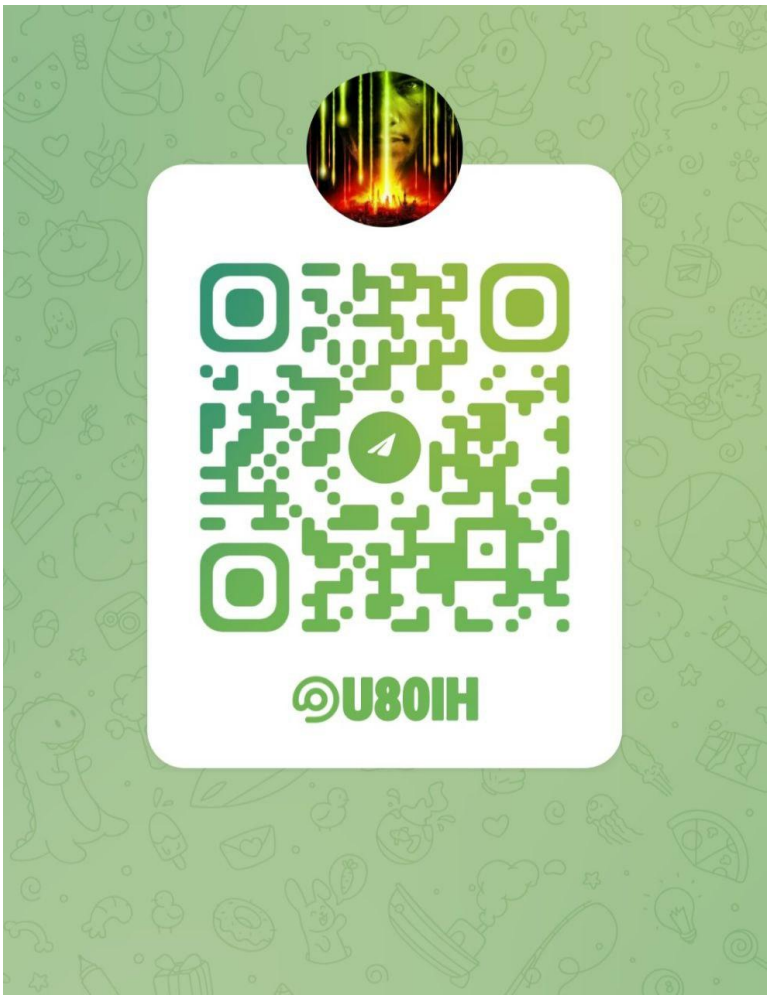

الخاطِف

استيقظ، فتح عينيه بصعوبة، ظلّ يفتح عينيه ويغلقهما بسرعة، لمحَ السنة نيران بين رَمشاتِه، وبجوارها يجلس رجلٌ يشاهد حدثًا رياضيًا لم يَتبيّنه حاول الوصول لمسدسه سريعًا ولكنه وجد يديه وقدميه مُقيّدتين..

قال الرجل دون أن يلتفت له: "هل تبحث عن هذا؟". ورفع يده حاملًا المسدس..

حاول النهوض ولكن بلا جدوى، بحث عن «سيف» فوجده نائمًا على الأرض بجوار النار.

قال الرجل: "لم أصدّق ما قالته المرأة، لم أرَ شيئًا كهذا طوال حياتي".

حاول «قاسم» استجماع قُواه باستِماته ثم صاح بصوت مُجهد مُحشرِج: "من أنت؟ أخبرني".

التفت الرجل، نهض بغضب وصاح: "سأُخفض من نَبرةِ صوتي لو كنت مكانك". ثم رفع مسدسه وأردف: "أستطيع قتلك وقتل طفلك هنا الآن".

ظل «قاسم» صامتًا لفترة وَجيزَة يُحاول تقييم الوضع ثم قال بصوت خفيض مستسلم: "أين نحن؟ كيف وصلنا إلى هنا؟".

نظر حوله فوجد غرفة واسعة جدرانها من صخور بيضاء غير مستوية بابها أزرق معدني.

لم يُجبه الرجل، اقتربَ منه بمسدس في يد وفي الأخرى قارورة ماء ثم جثا على ركبتِه وسَقاه بعض المياه التي تجرعها «قاسم» بنهم شديد، نزلت باردة أطفأت لهيبَ عطشِه.

تساءل «قاسم»: "هل طفلي بخير؟".

أجابه الرجل: "لقد سقيتك الآن نحن لسنا حيوانات، لن نؤذي طفلًا صغيرًا".

تنفس «قاسم» الصعداء، كاد القلق أن يوقف قلبه ثم قال بتجّهم: "ماذا تريد؟".

تساءل الرجل بفضول: "أتساءل كم سأحصل ثمنًا للطفل المعجزة؟".

تأمل «قاسم» الرجل، فارع الطول، هزيل الجسد، ذو شعر أسود تتخلّله الكثير من الشّعيرات البيضاء في لِحيته المَحلوقة بعَبث غير منتظمة الشكل، يعرج على قدمه اليسرى التي تبدو تحت بِنطاله القماشي القديم كقدم معدنية رديئة الصنع.

أجابه «قاسم»: "لن تحصل على شيء إن كنت ميتًا، هناك من يبحث عنا وسوف يصلنا لو لم نذهب من هنا".

الرجل ساخرًا: "أتقصد تلك الطائرات المسيرة؟". ثم أشار لبقايا طائرات خّمن «قاسم» أنه أطلق عليها النار وأسقطها.

«قاسم» بقلق: "لا أظن أنك تعلم من الذين تتعامل معهم".

بنظرة تحدٍّ قال الرجل: "لا أحد يتعدّى على نطاق ممتلكاتي ويعود قطعة واحدة، هم من لا يعلمون مع من يتعاملون".

تمكن «قاسم» أخيرًا من النهوض، جلس يتّكء على الجدار، تأمّل المكان الذي كان مليئًا بأجهزة توقف تصنيعها من عصور غابرة، لمحَ مُعلقة على دولاب خشبي متهالك ملابسًا قُماشية قطنية صدئة تختلف كثيرًا عن الملابس ذات الخيوط

البلاستيكية التي تُصنع منها كل الملابس التي يلبسها، امتلأت الغرفة بأثاث خشبي عتيق مزخرف بزخارف رائعة.

أمسك الرجل بالورق الذي كان يدوّن عليه «قاسم» أفكاره وتصفّحه سريعًا ثم قال: "أعجبني ما قلته هنا، ولإجابة سؤالك أشعر بالحماس، أشعر باندفاع الدماء في عروقي حين أجد سلاحًا مرفوعًا في وجهي، أو حين أكون أنا من أرفع السلاح". ثم رفع مسدّسه للأعلى ليراه «قاسم».

تساءل «قاسم» بفضول: لم تخبرني من أنت؟ وأين نحن الآن؟".

غضب الرجل سريعًا وتبدلت ملامح وجهه للتجهّم ثم صاح: "أنا من يطرح الأسئلة".

تراجع «قاسم» عما قاله بأن رفع يديه المقيدتين ثم قال: "أعتذر، أنا حقًا يجب أن أذهب قبل أن يجدني رجال أمن شركة «روبوبارت» أو الشرطة التي تعمل لصالحها، لا أريد أن يقع طفلي في قبضتهم مجددًا".

قال الرجل بينما يضع بعض بلورات اليرقات تحت لسانه: "لا تقلق؟ لن يجدك أحد هنا".

تساءل «قاسم» بفضول: وكيف تكون بتلك الثقة؟".

لم يجبه الرجل، كان المخدّر قد بدأ عمله بالفعل، ابتسم بلا مبالاة، جلس على أقرب أريكة ثم نظر بهدوء لـ «قاسم» وقال: "كلما أنظر للأعلى، للأفق الواسع، أشعر بضآلتنا، بضآلة مشاكلنا في هذا العالم الفسيح، ليس هناك ما يستحقّ البكاء على فقدانه". ثم أردف: "أنا أحب الكتابة أيضًا، هاجس يصدَح

في رأسي لا يهدأ إلا بإلقائه على الصفحات البيضاء، قد تكون رسائل من عقلي اللا واعي، بكلمات مشفرة ولُغة غير مفهومة".

تبدلت ملامح «قاسم» للقلق الشديد: "أحببت ما قلت، ولكنني لا أفهم، ما علاقة هذا بأي شيء؟".

لم يَعبأ الرجل بتساؤل «قاسم»، وضع مسدسه على الأريكة ونظر للسقف قائلًا بهدوء شديد: "لقد عشت حياة صعبة، أعلم أن هذا دأب الكثير من الناس، ولكن حياتي لم يَحيَها أحد، كان الفقر صديقي منذ وعيت الحياة التي تدور حولي، لم أرَ إلا الموت، الحرمان، التشرّد، الظلام المرض، اليأس، كان لدينا وِعاء بلاستيكيّ أذهب به لتلك المطاعم التي تعطي الفقراء بقايا الأكل، أقف في الزّقاق الخلفي ساعات طويلة حتى أعود بحفنةٍ من الطعام المتبقي للمنزل إن أردت أن تطلق على تلك المزبلَة منزلاً". ثم أردف بعدما تساقطت الدموع من عينيه مسحها بملابسه: "أريد بعض العدل من هذا العالم اللعين، أريد أن أعيش في قصر فسيح بدلًا من ذلك المنزل الحقير، هذا الطفل سوف يؤمن لي حياةً رَغِدة لا أضطرّ بعدها للعمل يومًا واحدًا".

تساءل «قاسم» بفضول: "ما الذي تنوي فعله؟".

نهض الرجل دون أن يُجيبه، أمسك هاتفه وقربه من «قاسم» قائلًا: "سأسمح لك بمكالمتين، الأولى لزوجتك والأخرى لوالدها، يجب أن يَصلني مليونا دولار قبل انقضاء ثلاث أيام وإلا سأقتله أمام عينيك".

ارتعدَت مفاصل «قاسم» من الخوف الرهيب، يعلم أن والد زوجته لن يدفع مثل ذلك المبلغ، ولكن أغرتْه فكرة أنه سيتحدث إلى زوجته فوافق على مساعدته بإيمائة وأخبره برقمها.

حين أجابت هاتفها وسمع صوتها تقول: "مرحبًا". كادت دموعه أن تنهمر، كان يتوق كثيرًا لسماع ذلك الصوت، استجمعَ قواه وقال: "مرحبًا «روان»، لقد أنقذته وهربت، أنقذت «سيف» وهربنا".

أجهشَت بالبكاء عندما سمعت صوته، ارتعدَت مفاصلها، اضطربت مشاعر اختلجَت في صدرها، تغيّر لون وجهها، علا صوت خفقان قلبها حتى كادت لا تسمع غيره، تمالكت نفسها بصعوبة شديدة ثم تساءلت بصوتٍ مُتحشرِج: "أين أنت الآن؟ لقد عادت إليّ روحي عندما سمعت صوتك".

أجابها «قاسم»: "لقد احتُجزنا في مبنى لشركة «روبوبارت» في الصحراء، تمكنّا من الهرب، وكدنا أن نموت لولا أن أنقذنا رجل لم يخبرني اسمه، يريد مليوني دولار حتى يدعنا نذهب".

شهقت «روان» حين سمعت المبلغ، تساءلت بقلق شديد: "كيف يمكننا الحصول على مثل ذلك المبلغ؟".

تحدث الرجل الذي كان ممسكًا بالهاتف طوال الوقت يقرّبه من فم «قاسم»: "ستجدينهم في حساب والدك البنكي، أمامك ثلاثة أيام، بعدها؛ سأقتلهما، سأبدأ بالطفل". ثم أغلق المكالمة.

مكث في مكانه ينظر لطِفله، يصهر التفكير عقله كحِمم مُستعرة، بدون أن يراه الرجل زاد من قدرة أذنه لسماع الأصوات خارج هذا المكان، لم يسمع شيئًا، صوت السكون، توقع أنّ هذا الكهف قريبٌ من الصحراء التي هرب إليها.

سمع أنينًا مكتومًا لم يعرف مصدره، لمح الرجل يقترب قائلًا: "سأفعل الكثير بتلك النقود".

«قاسم»: "لقد كذبوا علينا، أو همونا أننا بحاجة لنقودهم، لأوراقهم القطنية التي رسموا عليها بعض الخطوط، وطالبونا بإعطائها قيمة، وكنا بالسذاجة التي جعلتنا نصدقهم، تكتسب النقود قيمتها فقط باعتقاد الناس وإيمانهم بأن لها قيمة، فيتصارعون عليها، هذه إحدى الأشياء التي يقولها الأغنياء للفقراء ليضمنوا أنهم لن يطمحوا لنيل مكانة أعلى مما هم فيه، تبقيهم في حَضيضهم حتى يموتوا".

اقترب منه الرجل للغاية: "عندما تبات أيامًا جائعًا سوف تتصارع معهم، لن يكون هناك مكان داخل عقلك لتلك الفلسفة، قد تكون مجرد أوراق بلا قيمة، ولكنها تستطيع شراء حياة مُرفّهة، تستطيع شراء الكثير من اليرقات، تستطيع منح صاحبها القيمة". ثم أشار لركن في الكهف وأردف قائلًا: "سأستطيع معالجة رأس والدتي".

التفت «قاسم» فوجد امرأة عجوزا تجاوزت التّسعة عقود من عمرها تجلس ساكنة في هدوء قاتل لا تتحرك كثيرًا أو على الإطلاق، لم يشعر بوجودها قبل أن يشير الرجل تجاهها.

تساءل «قاسم» بفضول: "ما خطبها؟".

أجابه الرجل بأسى ممسكًا بطلقة حديدية فارغة معلقة سلسلة من عقه: "عندما ييأس الناس، يفعلون أبشع الأفعال ليَنجوا، لقد عشت حياة صعبة، أعلم أنك قد تقول أن الكثير قد يقول نفس الشيء ولكن الأمر كان مختلفًا بالنسبة لي، لقد عانيت حتى أحصل على كل ما لديّ الآن، تركنا أبي حين كنت رضيعًا، لقد أخبرتك كيف كنا نتحصل على الطعام ولم أخبرك أين كنا نعيش، كانت الحكومة تبني مخيمات للفقراء، ولكنها لم تكن تحمي هؤلاء الفقراء من بطش من هم أقوى منهم كانوا

يسلبوننا خيمتنا واحدة وراء الأخرى، حتى أصبحنا نبات لياليا في الشارع، في البرد القارس، كنا ننام دون أن ندري إن كنا ستستيقظ مجددًا أم لا، أو أننا سنستيقظ ونجد أعضاءنا في أماكنها أم سُرقَت أثناء نومنا، هناك من رفض الرحيل عن ذلك المخيم، لا يمكنك حتى التّخمين ماذا حدث لهم، كنت أتصفّح أحد المواقع بطريقة معتادة، فاستوقفتني مجموعة من الفيديوهات لرجل ضخم مُلثّم يحمل بين يديه ساطورا مقوّسًا من مُنتصفِه ويقف أمامه العديد من الناس المذعورين يذبحهم في فيديو تلوَ الآخر، رأيت في أحد المقاطع التي ظننت أنها خُدع سينمائية وجه أحد المذبوحين مألوفًا، إنه جاري «يحيى» في المخيم القديم، شاب في العشرين من عمره.. ذُبِح، هربت صرخة من حلقي بينما أشاهد الرجل يقطع رأسه، مكثت أتصفحهم جميعًا بعدما تيقّنت من حقيقة تلك المقاطع وخلوّها من الخُدع". ثم أردف بينما اغرورقت عيناه بالدموع: "أمي هي من حمتني طوال تلك السنين، لقد ضحّت بالكثير، أريد تعويضها، أريدها أن تحيا حياة كريمة، أريد أن أستبدل كل ذكريات القهر والعجز والذل بالفرح والسرور، هل ذلك كثير لأطلبه؟".

أجابه «قاسم»: "أنا لا أريد إلا الخير لك ولوالدتك، ولكن لو لم نرحل، سيلاحظون اختفاء طائراتهم سيقودهم ذلك مباشرة إلى هنا".

أمسك الرجل بغلاف الطلقة مرة أخرى وقال بتحدٍّ: "دعهم يأتون".

تساءل «قاسم» بفضول: "ما سرّ هذه الطلقة؟".

أجابه الرجل: "تذكرني ببشاعة الحياة، حروب خضتها وحروب كان من المفترض خوضها ولكنني جَبنتُ وعجزت".

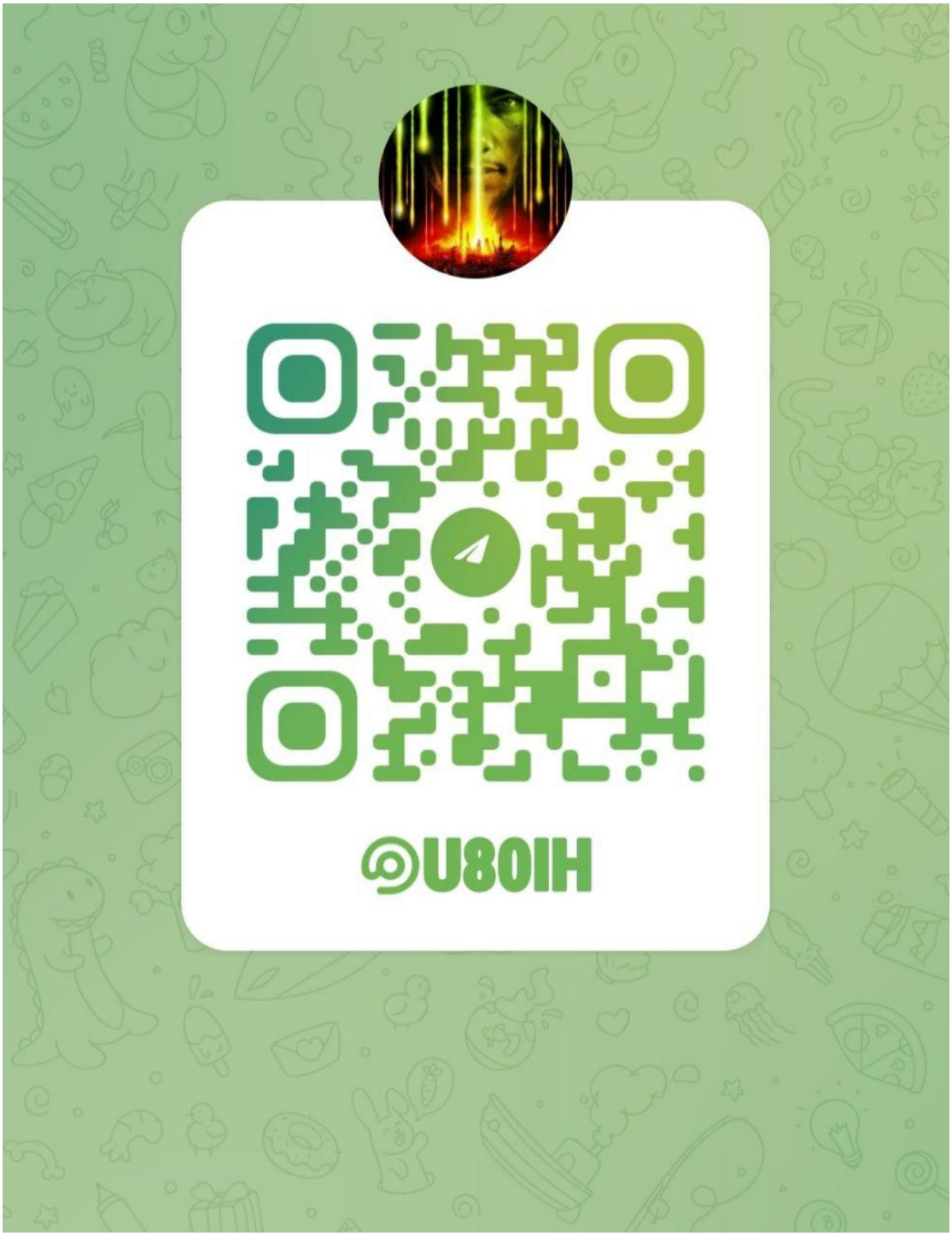

فَشَل

دلف «الذئب» لمكتب السيدة «أمنية» التي كانت تَستشيطُ غضبًا كلما تتذكر هروب «قاسم» وطفله.

كان يتفادى مقابلتها بالرغم من استدعائها له كثيرًا خلال الأيام اللاحقة لهروب «قاسم».

حاول التحدث ولكن استوقفه صراخها: "كيف تسمح بحدوث ذلك؟ كيف تسمح بهروبه؟ هذه كارثة بكل المقاييس".

حاول الإجابة ولكن استوقفته مجددًا بقولها: "لا أحد ينبغي له أن يعلم عن هذا الأمر، وجودي في هذا المنصب على المحك، مرتبط بنجاح هذا المشروع".

اكتست ملامح وجه «الذئب» بغيظ شديد حاول إخفاءه، هروب «قاسم» من قبضته الأمنية يعتبره أكبر فشل واجهه منذ تولى قيادة أمن الشركة، ثم قال بثقة وتحدّ واضح في نبرة صوته: "لن يطول هروبه طويلًا، دُمّرت بضع طائرات مسيرة خاصة بالشركة في موقع قريب من هنا، نعتقد أن «قاسم» هو من قام بذلك".

السيدة «أمنية» بغضب: "اصطحب قوة واذهب لذلك الموقع، لا تعد بدونهما".

اومأ برأسه موافقًا وانصرَف.

صِراع

بعد أن أغلقت المكالمة مع «قاسم»، تسمّرت «روان» في مكانها لفترة طويلة كالصنم تتصارع بداخلها مشاعر السعادة لأنها اطمأنت أخيرًا على «قاسم» وطفلها تمتزج بالقلق الرهيب لأن المبلغ الذي يطلبه الرجل أكثر مما يمكنها توفيره ولكن عقلها يخبرها ألا تقلق، «قاسم» دائمًا ما يجد طريقة للنجاة، سوف يعودان في وقت قريب، فقط عليها الانتظار، ولكن كيف يهنأ لها بال بينما هما بعيدان عنها.

اقتربت منها السيدة «أميرة» تُحدّق في ملامح وجهها، تبدو عليه الصدمة الشديدة ثم تساءلت: "هل أنت بخير؟".

أجابتها «روان»: "سوف نرحل الآن".

تساءل «ريان» بحزن: "أين سنذهب؟".

أجابته «روان»: "سنعود لمنزلنا مجددًا".

لاحظت ملامح الأسى تعلو وجهه فقالت تُواسيه: "أنت تُشبه الأبطال الخارقين في هذه البذلة، بإمكاني تسميتك...". فكرت قليلًا وأردفت: "الفتى صفر الذي سيمحي الشرّ من العالم".

ابتسم «ريان» قائلًا: "ما هي قدراتي الخارقة؟".

أجابته: "الخروج من المنزل". وضحكوا جميعًا.

أقبلت عليهم السيدة «كاريمان» تنفث غضبًا من عينيها ثم صرخت في «روان»: "لقد رأيتِ شيئًا لم يكن من المفترض لك رؤيته".

تغيّر وجه «روان»، كادت أن تنفجر في وجهها لأنها السبب في تلك الكارثة التي حدثت لهم منذ البداية، لازمت الصمت قليلًا،

قالت تتساقط دموع عينيها: "لقد اعتقدت أنكِ أحببتيه، لو حسبتِها بالدم، فهذا الطفل هو حفيدك، ورثَ جيناتك مني، لو حسبتها بالأرقام والأعمال الميزة فهذا الطفل هو الأهم والأكثر قيمة في العالم الآن، أنا لم أعتقد أن بمقدورك فعل ذلك، لا يزال عبء خيانتك يُثقل كاهلك، دعيني أريحك منه، أنا لا أريد رؤيتك بعد الآن". ثم اصطحبَت السيدة «أميرة» و«ريان» وغادروا القصر تاركين السيدة «كاريمان» مُتصلبة في ذهول.

بعدما ركبوا السيارة هاتفت «روان» المحقق «حازم»: "لقد تواصل معي «قاسم»، إنه حي، أخبرني أنه اختُطف ومن اختطفه يُطالبنا بمليوني دولار فدية".

تساءل المحقق «حازم»: "هل لديكِ الهاتف الذي تواصل معكِ من خلاله؟".

أجابته: "نعم".

قال بحماس: "أين أنتِ الآن؟ لا تفعلي شيئًا بالهاتف، سوف أحضر لموقعك بأقصى سرعة".

ركبوا السيارة، انتظروا لبعض الوقت حتى وصل المحقق «حازم» أخيرًا، ترجرجت سيارته بينما يترجّل منها وخلفه ترجل شاب لم يُتم عقده الثاني، نحيف الجسم، يرتدي نظارة مقعرة، يمسك بين يديه جهازا لوحيًا.

اقترب الشاب من «روان» وقال معرّفًا بنفسه: "أنا «أحمد»، هل يمكنني الحصول على هاتفك؟".

ناولته «روان» الهاتف فقام بتَوصيله بجهازه اللوحي وانتظروا قليلًا بينما يكتب بعض الأكواد بسرعة فائقة.

تساءل المحقق «حازم» بفضول: "لماذا أعلنتِ أن شركة «روبوبارت» اختَطفتهُما؟".

أجابته «روان»: "لقد أخبرني «قاسم» أنه تمكن من إنقاذ «سيف» والهروب من مبنى الشركة، لم يكن هناك شيء آخر لفعله، أنا يائسة".

أومأ المحقق «حازم» مُتفهمًا لما ترمي إليه، ثم التفت لـ «أحمد» وتساءل: "هل لديك موقع من أجلي؟".

أجابه «أحمد» بعدما قام بتعديل وضع نظارته أعلى أنفه: "الموقع في الصحراء، أنا أقترب".

المحقق «حازم»: "هل يمكنك إكمال البحث على الطريق؟".

أجابه «أحمد»: "نعم".

المحقق «حازم» بحماس: "إذن، ما الذي ننتظره؟".

انطلقوا جميعًا في سيارة المحقق «حازم» السوداء العملاقة رباعية الدفع، ذات الإطارات العريضة تسير بسهولة على الطرق المُمهّدة والرّملية.

فُرصَة

دلف «شاكر» لمكتب السيدة «أمنية»، كان موجودًا دكتور «ديفيد فيتر» جالسًا على كرسي بجوار مكتبها، انتبَها عند دخوله، كان «شاكر» يرتجف خوفًا، يخشى أنهم سينتقمون منه بعد هروب «قاسم» وطفله المعجزة.

قالت السيدة «أمنية» لتكسر حاجز الصمت: "التقينا أخيرًا". ثم نهضت وأشارت بيدها له ليجلس.

تساءل دكتور «ديفيد فيتر» بلهفة: "هل يمكنك إكمال ما بدأته مع «قاسم»؟ هل بإمكانك إكمال تصنيع الجهاز؟".

تفاجأ «شاكر» من السؤال، نظر إلى السيدة «أمنية» فوجدها متلهفة لإجابته أيضًا، لقد خّمن تخمينًا خاطئًا، هروب «قاسم» ربما يكون أفضل ما حدث له خلال حياته البائسة، منحه الفرصة التي بحث عنها طوال هذه السنين، توجّه نحو أحد الكراسي وجلس عليه ثم نظر إلى عيونهم التي تتوقُ لإجابته وقال تكسو الثقة كل قسمات وجهه: "أنا قريب من إتمام تصنيع الجهاز، ما يتبقى هي المعلومات الوراثية لكل عضو ضامر ومقارنتها بالشريط الوراثي لـ«سيف»".

ابتسم دكتور «ديفيد فيتر» ببهجة شديدة ثم قال: "سوف أسخّر كل علماء البيولوجي في هذا المكان لمساعدتك في تجميع المعلومات التي تريدها".

بنبرة صوت حازمة قال «شاكر»: "أريد 2% من أسهم الشركة".

نظرت السيدة «أمنية» في عينيه فعلمت أنه لا يمزح ثم قالت: "هذا أضعاف ما أعرضه عليك".

نهض «شاكر» يستعد للمغادرة قائلًا: "إما ذلك وإما لن يكون هناك شركة من الأساس".

السيدة «أمنية»: 1%".

«شاكر»: "حسنًا، سوف أرضى بـ ١,٥".

اقتربت منه السيدة «أمنية»، همسَت في أذنه: "لا تختبر صبري، احذَر اليوم الذي تنتهي فيه حاجتي لك".

تركها وغادر يحاول المحافظة على تعابير وجه الشجاعة التي لا تعبّر ما يَختلج داخله من هلَع.

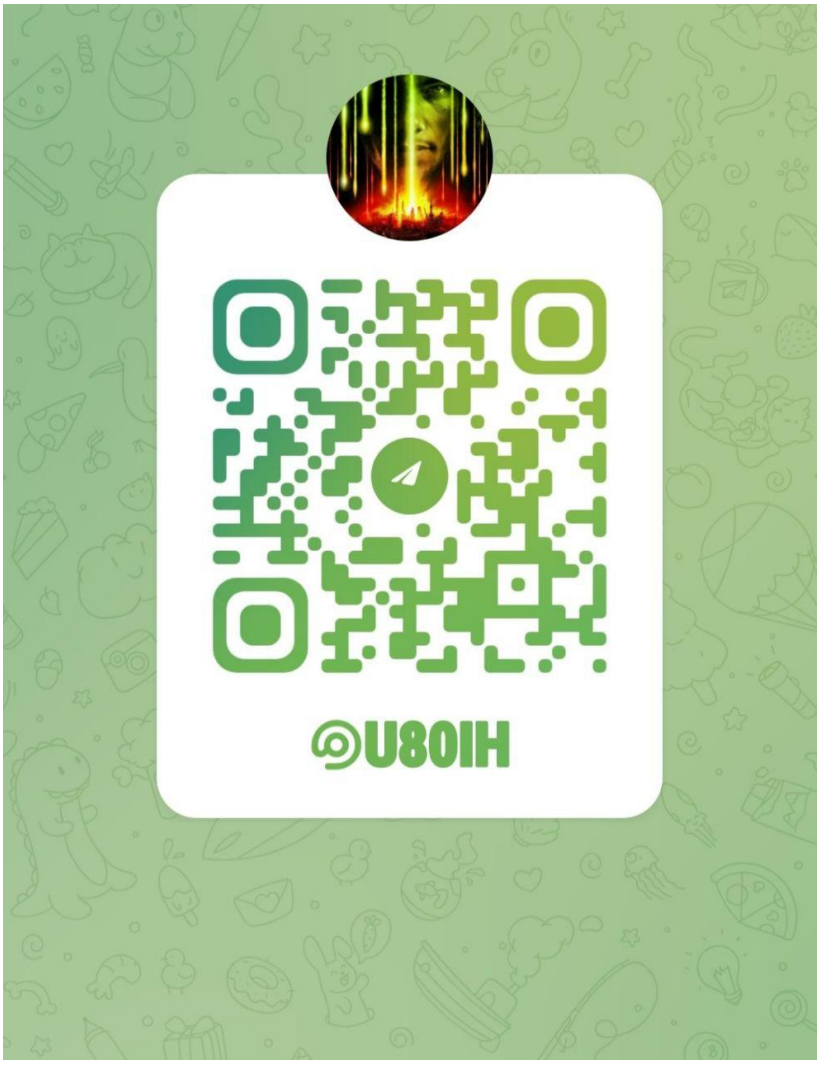

لن نَستطيع التّغلّب عليهم.

استيقظ «سيف» أخيرًا عند منتصف الليل، نظر حوله فلم يتعرف على أي شيء حوله، انهمرَ في البكاء حتى سمعه «قاسم» فاستيقظ مفزوعًا من نومه، مكث يحدّثه حتى يتعرف على صوته ويخفض من بُكائه المرير.

استيقظ الرجل أيضًا من نومه في غرفته بالطابق العلوي، حمل مسدسه ونزل، أضاء الغرفة فوجد «قاسم» يزحف على بطنه يحاول الوصول لطفله «سيف»، عندما انتبه «قاسم» لوجود الرجل توقف وقال يترجّاه: "دعه ينام بجواري، لن يصدر صوتًا، أعدك".

اقترب الرجل من «سيف» ثم نظر في عينيه الطفوليتين المُرتعبتَين وقال: "حسنًا، لو صنع ضوضاء أخرى سأقتله". أمسك بذراعه وحمله ووضعه بجوار «قاسم» الذي قبّله على وَجنِته بسعادة واحتضنَه بيديه المقيدتين يمنحه الأمان والطمأنينة تتساقط دموعه دافئة.

التفت للرجل قائلًا: "لا يمكننا البقاء هنا، لا بد أن الشركة أرسلت طائرات مسيرة أخرى لمسح المنطقة".

لم يكد يتم كلمته حتى سمعَ الكثير من الطائرات والسيارات في طريقها لموقعهم، تسارعت أنفاسه من الهلع ثم قال: "لا عليك، نحن متأخّرين على أي حال".

اعتصر طفله بين يديه يحاول أن يُهدئ من روعه

وصلت أصوات الطائرات والسيارات أخيرًا لأذن الرجل فابتسم بتحدٍّ

صاح «قاسم» فزعًا: "إنهم كثيرون، لن نستطيع التغلب عليهم".

ذهب الرجل لصندوق خشبي قديم يضع فوقه بضع الوسائد ويغطيه بقماش مزخرف أبيض اللون، أزاح الوسائد وفتح الصندوق، كان يحتوي الكثير من المسدسات والأسلحة الخفيفة والثقيلة والقنابل اليدوية.

شهر «قاسم» من هول ما شاهد بداخل الصندوق وصاح: "هذا جنون".

الرجل بابتسامة ثقة: "مرحبًا بك في عالمي".

«قاسم» برجاء: "حرّرني حتى أستطيع مساعدتك، لن تستطيع القضاء عليهم بمفردك".

نظر له الرجل يفكر قليلًا، بدون أن ينطق فكّ قيوده قائلًا: "لا تفكر في الهروب، ما زال لدي طفلك".

اصطفّت سيارات كثيرة مُصفّحة أمام المنزل ونزل من إحداها «الذئب»، تأمل المكان حوله قليلًا، كان منزلًا حجريًا وحيدًا بُنيَ بين جَبلين شاهقي الارتفاع، لا يوجد به الكثير من النوافذ، فقط له باب معدنيّ مُغلق بأقفال قوية لا يمكن فتحها أو تدميرها بسهولة، ونافذة في الطابق العلوي والأخير للمنزل عليها شبكة معدنية من الخارج، تعجّب «الذئب» من ذلك المبنى ومّمن بَناه وعاش فيه بعيدًا عن أقرب مدينة بعشرات الأميال.

أمر رجاله بتفجير مدخل المنزل ولكن عندما اقتربوا تلقّوا وابلًا من طلقات نارية كثيفة تجاههم قتلت معظمهم، احتمى باقي الرجال خلف أبواب سياراتهم المُصفّحة وأطلقوا النار نحو النافذة.

تراجع الرجل قليلًا حتى فرغت طلقاتهم المتلاحقة، توجه نحو صندوقه، أعطى «قاسم» رشاشًا آليًا وشريطًا طويلًا من الطلقات، أما هو فقد تناول من الصندوق قذيفة صاروخية الدفع R.P.G لقّمها وتوجّه نحو النافذة وأطلق الصاروخ نحو إحدى السيارات، انفجرَت ارتفعت مسافة عالية في الجو قبل أن تسقط على سيارة أخرى بجوارها وتحدث انفجارًا آخر.

زاد غضب «الذئب» وغلا الدم في عروقه فأمسك بمسدسه وأطلق رصاصًا كثيفًا تجاه النافذة، أمر الطائرات بإطلاق صواريخها نحو المنزل حتى لو كانت النتيجة قتل الطفل.

عندما اقتربت إحدى الطائرات أطلق عليها الرجل صاروخًا آخر فانفجرت في الجو ولكن طائرة أخرى تمكنت من إطلاق صاروخين أحدهما نحو النافذة والآخر نحو باب المنزل صنع فجوةً في الجدار.

دفع انفجار النافذة الرجل مسافة كبيرة داخل المنزل، اقترب منه «قاسم» فوجد دمًا غزيرًا يسيل من بطنه، نهض الرجل بإعياء شديد وتوجّه لأحد الأدراج وفتحه، التقط منه أنبوبًا، فتحه ووجّهه نحو الجرح فخرج منه سائل لزِج كثيف ووضعه على الجرح، ظهر الارتياح اللحظي على وَجهِه، وضع ضِمادة على الجرح وتوجّه بعدها نحو الصندوق وأسك برشاش كمثل الذي أعطاه لـ«قاسم»

قال لـ«قاسم»: "توجّه للطابق الأرضي، عندما ترى أحدهم قادمًا، اقتله، لا تدعهم يدخلون للمنزل، لا تدعهم يقتلونها".

بعدما اطمأن لنزول «قاسم»، سحب خلفه شريط الطلقات وتوجّه نحو النافذة وأطلق الطلقات بحماس وعنف بينما يصرخ: "أيها الأوغاد! لن تسلبوني وَسيلتي للثّراء".

ظلّ إطلاق النار سجالًا بينه وبين الرجال قتل وأصاب منهم الكثير.

حمل «قاسم» طفله واقترب من المرأة العجوز فوجدها ترتعش، ربّت على كتفها ليمنحها بعض الأمان. التفتت له ونظرت عميقًا في عينيه ثم قالت بصوت مُتحشرج: "لقد حان وقت الرحيل".

حاول «قاسم» فهم ما ترمي إليه ولكن سحبه من أفكاره سماع صوت «الذئب» ورجاله عند الباب، ترك ابنه المُرتعب بجوار العجوز، ذهب وأطلق النار بعشوائية في الممر المؤدي للباب ليمنع تقدمهم، كان صوت الصراخ الغاضب للرجل في الطابق الأعلى يمدّه بالحماس، تقدم قليلًا مقتربًا من الباب ومستمرًا في إطلاق النيران الكثيفة، أمسك بقنبلة يدوية التقطها من الصندوق ورماها عليهم بعد سحب زنادها، انفجرت وسمع عقبها صرخات الكثير من رجال «الذئب» يتألمون من إصاباتهم.

توقف صراخ الرجل في الطابق الأعلى وسمع صوت ارتِطام شيء على الدرج، ذهب سريعًا ليرى ماذا يحدث فوجد الرجل يصارع أنفاسه الأخيرة، جروحه أكبر من أن يغلقها بسائله اللّزج.

همس الرجل بصعوبة بصوت متقطّع بينما يلفظ آخر أنفاسه: "لا تدعهم يقتلونها". ثم أغلق عينيه للأبد.

حينها علم «قاسم» انعدام أمله في النجاة، فقرر أنه لن يستسلم بدون قتال، ذهب لصندوق الأسلحة في لحظة يأس ولغّم كامل المنزل بالقنابل.

سمعَ صوت الرجال قادمين من الأعلى بعدما أغلقت الأحجار الناجمة عن الانفجار الباب.

ظلّ يضرب الطلقات عليهم بعشوائية بعدما لقّم شريط طلقات آخر من الصندوق.

بين الطلقات سمع صوت «الذئب» متقطعًا يقول:
"لاستطعت هدم هذا المنزل فوق رأسكما إن أردت، سأفعلها إن لم تترك لنا خيارًا، توقف عن إطلاق النيران".

توقف «قاسم» لهُنيهَة قال فيها: "أنا لا أكترث بتهديداتك، أنا أعلم كما أنت تعلم أن قيمتنا إليك كأحياء أكثر منها كأموات".

صاح «الذئب» بغضب هادر: "لا تختبر صبري".

سمع تحركات ثلاثة من رجاله برفقته، فصاح: "انزل بمفردك".

«الذئب»: "حسنًا". أمرهم بالبقاء ومراقبة الوضع والانتشار في المنزل وانتظار إشارته.

نزل بمفرده، قابله «قاسم» شاهرًا رشّاشه الآلي في وجهه.

قال «الذئب» بثقة المُفترس الذي يقف أمام ضحيّته: "لقد أحدثتَ الكثير من الدّمار هذه الليلة ولكنك لن تفوز، هناك طائرة تحوم بالخارج ننتظر إشارتي لتَفتيت هذا المنزل إلى أحجار صغيرة".

«قاسم» بعد أن تسلّل الخوف إلى قلبه: "أنت لا تعلم لأي مدى سأذهب لأحمي عائلتي".

تلفّت «الذئب» حوله يمسح المكان بعينيه ثم قال: "لا يوجد هناك مكسب لك في هذا الموقف، سوف تموت بدون فائدة وسنَحوز الطفل مجددًا".

«قاسم» بتحدّ: "أنا من بيدي السلاح، أنت لست أول من يهدّدني هذا التهديد، ولكنني ما زلت هنا، وسأظل هنا بعدما أقتلك".

لم يكَد «قاسم» أن يتمّ كلمته حتى سحبَ «الذئب» المسدّس من جعبتهِ بسرعة فائقة وأطلق النار على يد «قاسم» التي تحمل السلاح فسقط أرضًا، اقترب منه ونظر بسعادة للدماء تسيل من يد «قاسم» تصنع بركة صغيرة من الدماء على الأرض ثم قال: "سوف تُصاب بخيبة أمل شديدة".

التفت ثم وجّه مسدسه لرأس «سيف» وقال: "سوف تأتيان معي بهدوء وإلا سأقتله ثم أقتلك".

سمعا صوت تبادل طلقات نارية كثيفة بالطابق العلوي فصاح غاضبًا: "ما الذي يحدث لديكم بالأعلى؟".

لم يُجبه أحد، سقطوا جميعًا صرعى ظهر بعد ذلك المحقق «حازم» يتحرك برشاقة لا تُلائم وزنَه أو شكل جسمه الكُمثري.

تعجّب «الذئب» ثم تساءل بسخرية: "من هذا الدب؟".

اقترب المحقق «حازم» موجهًا مسدسه لرأس «الذئب»، وظهرت من خلفه «روان»، كانا قد صعدا السلم المعدني الذي استخدمه «الذئب» لدخول المنزل.

شعر «الذئب» بالخطر فأسرع وأمسك «سيف» ووضع المسدس على رأسه حتى لامس المعدن فَروتَه مستخدمًا جسم الطفل الذي يبكي بكاء مريرًا كدرع يقيه من طلقاتهم، شهقت «روان» وارتعشَت من هول رُعبها، لم تكد قدماها أن تحملاها، جلست على الأرض بجوار «قاسم» تطمئن على إصابته.

أمسك «قاسم» رشاشه الآلي بيده السليمة ثم نهض بصعوبة.

صرخ «الذئب» محذرًا بحزم: "لا تقترب، سوف أقتله".

أمسك «قاسم» بالسائل اللّزج ووضعه على يده فالتأم الجرح كثيرًا وتوقف نزيف الدماء ثم قال: "أتساءل ما الذي حدث لك لتُصبح ذلك الشخص القاسي عديم الرحمة الذي أراه أمامي الآن، لقد عشت بين الفقراء والمُهمّشين بين المحرومين والمظلومين، كيف تمكنت أن تغضّ طرفك عن معاناتهم وتفعل الأفعال المَشبوهة لتلك الشركات الوحشية؟".

صاح «الذئب» بغضب: "أنت لا تعرفني، لا تعرف ما الذي قاسيتُه حتى أصل لما أنا عليه الآن، لا تعرف ماذا اضطررت أن أفعل حتى أنجو، هؤلاء الناس ضعفاء، يتقاتلون على الفُتات الذي يسمح به الأقوياء، ليس هناك جدوى من الوقوف في صفوفهم".

«قاسم»: "عندما تندر الموارد، يصبح الصراع عليها حتميًا، لا تَستهِن بقوة الناس".

ابتسم «الذئب» ساخرًا ثم صرخ: "ليس هناك ما يمكنك فعله لهم".

كان غرض «قاسم» أن يتحدث مع «الذئب» لفترة حتى تتمكن زوجته «روان» من الالتفاف حوله ثم أمسكت «الذئب» من الخلف بقوة تخلّص منها بسهولة، استغلّ «قاسم» الفرصة وانقضّ سريعًا على «الذئب» ودفعه للخلف فاختلّ توازنه وتخلى عن قبضته لـ«سيف» الذي ركض سريعًا نحو والدته فاحتضنته بقوة تنوي ألا تتركه حتى تفقد روحها.

رفع «الذئب» «قاسم» من فوقه.

التفت إلى «روان» يصرخ: "اذهبوا الآن، انجوا بحياتكم". ثم وجّه حديثه للمحقق «حازم»: "خذها واهربوا، توخوا الحذر من الطائرة".

حاول «الذئب» الوصول لمسدسه الذي سقط منه إثر اندفاع «قاسم» تجاهه ولكن «قاسم» قطع عليه الطريق نحو المسدس ولَطمَه على وجهه، قبض «الذئب» يده اليمنى الروبوتية بغضب ولكمَه فتَقهقرَ «قاسم» للخلف عدة خطوات.

صرخ فيهم: "اذهبوا الآن، أنقِذوا المرأة العجوز".

المحقق «حازم»: "لن نستطيع إنقاذها".

«قاسم» بتصميم: "يجب أن نحاول".

ثم اندفع تجاة «الذئب» الذي اشتعلت عينُه بغضب وَحشيّ نقيّ فأتى مندفعًا ناحية «قاسم» يريد الفتْك به، تلقى «قاسم» لَكمتَه بالكاد فأتبعها «الذئب» بركلة قوية في بطنه افترش الأرض بعدها، التفت «الذئب» بقصد التقاط مسدسه والقضاء عليه حتى يتمكن من ملاحقتهم ولكن «قاسم» نهض بصعوبة وإعياء وركض تجاهه، قفز في الهواء وارتمى بجسمه كاملًا عليه، اعتلاه وظل يكيل له اللّكمات يمينًا ويسارًا حتى استجمع «الذئب» قُواه وتمكن من التخلّص منه أخيرًا.

نبض «قاسم» سريعًا وركض نحو الدرج محاولًا الهروب، لحقه «الذئب» وأمسك قدمه، التفت «قاسم» وركله بقوة ثم تابع صعوده للأعلى، لمحَ إحدى القنابل التي زرعها، أمسكها ونزع زِنادها ثم رماها الداخل المنزل وصعد السلم بسرعة كأن الموت يلاحقه، انفجرت القنابل بالتتابع حتى انفجر المنزل بأكمله.

انخلع قلب «روان» حين رأت حجم الانفجار، أرادت الترجّل من السيارة والدخول للمنزل مرة أخرى ولكن المحقق «حازم» والسيدة «اميرة» أمسكا بها ومنعاها من ترك السيارة ثم قام بتشغيلها استعدادًا للرحيل.

أوقفته صارخة: "سيأتي، يجب أن ننتظره".

المحقق «حازم» بأسى: "لن أضع آمالًا كبيرة على ذلك".

لم يكد أن يتمّ كلمتَه حتى وجد «قاسم» يعرج أمام السيارة ثم سقط بإعياء شديد، كان الانفجار قد لفظه من النافذة، سمع صوت الطائرة تقترب فحاول الزحف سريعًا قبل أن تبلغهم.

ترجّلت «روان» من السيارة ومعها المحقق «حازم» وحملاه للسيارة وانطلقا سريعًا، لاحقتهم الطائرة وأطلقت النيران على السيارة المُصفّحة فلم يصلهم من الطلقات شيء، أطلقوا صاروخًا، شعر به «قاسم» وسط نوبات إفاقته وفقدان وعيه فصرخ: "توقف، توقف".

توقف المحقق سريعًا فشاهدوا الصاروخ يرتطم بالأرض أمامهم، داروا حوله وتجاوزوه ثم أكملوا حتى بلغوا الطريق السريع، توقفت الطائرة في الهواء خشية أن تلتقطها الكاميرات ثم غادرت..

سارعوا إلى المستشفى لعلاج إصابات «قاسم» وجروحه الغائرة، قابلهم دكتور «علاء» عند الباب، حملوه سريعًا إلى غرفة العمليات.

مُؤتمرٌ صحفيّ

مرت بضعة أيام بدأ «قاسم» خلالها يستعيد عافيته، حين استفاق سمع ضوضاء كثيرة خارج غرفته فتساءل بفضول: "ماذا يحدث بالخارج".

أجابته: "الكثير من القنوات الإخبارية والصحفيون يريدون التحدث معك".

فكر قليلًا ثم حاول النهوض، أوقفته «روان» قائلة: "لا تستطيع الخروج إليهم، ليس قبل أن تكون معافًى تمامًا".

بتصميم جلس على كرسي المرضى الموجود بجوار الفراش ثم قال: "هناك أشياء يجب قولها، لا تستطيع الانتظار".

تعلم مدى عِناده، قادَت الكرسي خارج الغرفة، حين رآه الصحفيون تهافتوا عليه بالكثير من الأسئلة، رفع يده فصمتوا جميعًا ثم قال أمام الكاميرات والميكرفونات: "أنا بخير، طفلي بخير، لقد خبّأته لكثير من الوقت ولكن حان الوقت لتعلموا جميعًا الحقيقة، لقد وُلد بدون ضمور في أي من أعضائه الخارجية والداخلية".

تدافع الصحفيون جميعًا بأسئلتهم وصَخبِهم ولكن هدأ الصّخب قليلًا حين قدمت «روان» بصحبة الطفل «سيف»، توقّفت الهَمهَمات، حدّقت العيون كلها بالطفل يتأملون كل جزء من جسده الصحيح الصغير، يشهدون بأنفسهم المعجزة.

استرسل «قاسم» في خطابه : "تلك المعجزة ملك للبشر جميعًا وليس للأثرياء فقط، نعيش في عالم حيث تتركز الثروة والسيطرة في أيدي فئة قليلة من البشر، بينما يكون باقي الشعب كالقطيع الجاهل المزدحم مشغولون بالسعي الدَّؤوب خلف

قوت يومهم لا يعبؤون بأمور الحكم والسياسة، فليحكم من يحكم أو ليذهب الجميع للجحيم، هذا ليس صحيحًا، لا يمكن أن يكون عادلًا، لدي رسالة أوجهها لهؤلاء، نحن لا نعيش في غابة، نعيش ونموت تتحكم في حياتنا مجموعة من القواعد والقوانين وإلا ستصبح الحياة فوضى، لا يجب أن تستمر حيواتنا على هذا المنوال بعد الآن، نحن أقوياء، نحن قادرون على تحقيق مصيرنا، قادرون على بناء حياة مُزدهرة لنا وللأجيال القادمة، نحن مدينون لهم بذلك".

شاهدت العجوز خطاب قاسم على التلفاز من غرفتها في المستشفى، شعرت بالشفقة مما سيحدث له، تتذكر المصائب والكوارث التي أحلّت بها على مدار تاريخها الطويل لمجرد أنها كانت ترغب لابنها أن يكون ذو شأن عظيم، لقد أصبح الجميع عدوا لـ«قاسم»، جميع هؤلاء الذين يمسكون بزمام الثروة والسلطة والنفوذ، لن يتَوانوا للحظات عن إخراس تلك الأفكار للأبد، حتى تستقر لهم الأمور ويعودوا مجددًا لممارسة لعبتهم المعتادة، لعبة القوة..

اندلعَت مُظاهرات بعد ذلك انطلقت من المقاطعات يطالبون بحريتهم، يُلهمهم «قاسم» وطفله المعجزة.

تمت بحمد الله

فهرس

تَوطِئةَ.....3

«الذئب».....4

«قاسم».....6

مَشروعُ العَنقاء.....39

انكِشافُ السّرّ.....45

اختِطاف.....48

المَبنى الأحَمر.....62

صَدمَة.....67

جَحيمٌ تحتَ الأرض.....75

لَيتَك هنا.....85

لقَد فقَدتُّهما.....88

غايةُ الخُلود.....94

أرَق.....98

مَشروعٌ سرّي.....101

احتِواءُ الكارثَة.....111

اجتماعٌ عاجلٌ في مَجلس الإدارَة.....116

كيفَ الهُروب.....118
الخائن.....126
الخاطِف.....128
فَشَل.....136
صِراع.....137
فُرصَة.....140
لن نَستطيعَ التّغلّب عليهم.....142
مُؤتمرٌ صحفيّ.....151